الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كـلية العلوم الإنسانية و الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ.

الدواوين في العصر المملوكي

(648هـ-923هـ/1250م-1517م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبتين:

- فاطمة الزهراء بن السبع.
- مروة بومعزة.

إشراف الأستاذ :

- د.خالد الشارف.

الموسم الجامعي

2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

ونحن نخطو خطوتنا الأخيرة في الحياة الجامعية لابد من العودة إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام

الذين قدموا لنا الجهد الكبير

ونقدم أسمى كلمات الامتنان إلى جميع أساتذتنا الأفاضل واخص بالتقدير والشكر الأستاذ الفاضل شارف خالد

لصبره معنا في إتمام رسالتنا وإرشاده لنا ونشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث وقدم لنا العون وزودنا بالمعلومات وكان بمثابة النور الذي يضيء الظلمة وزرعوا فينا التفاؤل فلهم منا كل الشكر

إلى الزميل مُحَمَّد قرزو وزميله مصعب إلى الزميلات نور الهدى جعيرن وشعيبي نعيمة.

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ملاكي في الحياة ،والى معني الحب والحنان إلى بسمة الحياة إلى من كان دعائها سر نجاحي أمي الحبيبة

إلى من احمل اسمه بكل افتخار ارجوا أن يمد الله عمرك أبي العزيز إلى سندي وقوتي ،إلى من أظهروا لي ما هو جميل إلى رفقاء دربي في الحياة إخوتي وأخواتي عثمان ،حليمة،الزبير،اميمة، تقوى إلى أختي التي لم تلدها أمي إلى من تتميز بالإخاء و الوفاء صديقتي مروة بومعزة إلى أم وأب لم يلداني فتيحة وعواك إلى أولاد خالي مارية و ابنها إلياس وزوجها مُحَمَّد والى خولة و مُحَمَّد و أحمد الصادق وعبد الحق وفاطنة و إحسان

إلى جدي عبد الرحمان وجدتي ناهية من أبي و أعمامي

لخضر وطاهر ولمبارك و كمال وعمتي منصورة و أولادهم ونسائهم والى جدي طاهر وجدتي فريحة من أمي وأخوالي بشير وسلامي وخالاتي ميهوبة و سعاد و أولادهم وأزواجهم وزوجات أخوالي إلى من سعدت معهم وبرفقتهم كانوا معي على طريق النجاح والحياة صديقاتي نور الهدى و إيمان و فاطنة و بثينة و زينب.اهدي هذا العمل الى خطيبي حمزة قربة وعائلته الكريمة عائلة قربة كبيرا وصغيرا

فاطمة الزهراء بن السبع

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي مشروع تخرجي إلى من علمتني أن الحب ليس له عمر وأن العطاء ليس له حدود أمي الغالية فاطمة بومعزة

الى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي ابي الغالي لخضر بومعزة إلى من أقول لهم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على الشغف والاطلاع إلى إخوتي الأعزاء أحمد ،مُحَمَّد،عبد النور إلى أخواتي حبيباتي زينب،زهرة ،جهاد،عواطف إلى أولاد أخواتي رهف ،بشير،رمزي،إنصاف،آدم،جابر إلى أزواج أخواتي

عبد القادر لحول ،مُحَمَّد لوعيل إلى صديقتي وأختي فاطمة بن السبع إلى اعز ما املك وفارقوا الحياة جدتي ضو طوال و جدي بلحوت بومعزة وجدي سعيد بومعزة وخالي بلعلمي بومعزة،أسكنهم الله فسيح جنانه إلى جدتي أطال الله عمرها زينب بوقنيسة إلى صديقاتي ورفيقاتي زهية ،فاطنة،مريم ،جميلة إلى خالاتي و أخوالي وأعمامي وعماتي إلى كل من ساندني وساعدني في مشواري الدراسي ولو بكلمة طيبة

مروة بو معزة.

قائمة المختصرات :

الرقم	الكلمة	اختصارها
01	دون طبعة	د ط
02	دون سنة نشر	د ن
03	دون دار نشر	د د ن
04	صفحة	ص
05	حلقة	حل
06	ميلادي	م
07	هجري	هـ
08	طبعة	ط
09	العدد	ع
10	مجلد	مج
11	الجزء	ج
12	تحقيق	تح
13	دون بلد نشر	د ب ن
1	تقديم	تق

توطئة:

يعالج الموضوع تاريخ مصر العريق الحافل بالعديد من انجازات الدول التي تعاقبت على حكمها ومن بين هذه الدول التي زخر بها تاريخ مصر في العصور الوسطى الدولة المملوكية التي لها مكانة بارزة تجعل منها عصرا جديدا بالتميز في شتى الميادين لتصبح محل أنظار جميع الأقطاب ، ومن أكبر الدول الإسلامية في قمع الخطرين الصليبي والمغولي .

وبذكرنا تاريخ مصر فيجب ذكر الجانب الإداري للدولة والذي تمثل في مجموعة من الدواوين التي نظمت سير الدولة ،وأحسنت توجيهها وقد اعتمد عليها الجهاز الإداري المملوكي في ضبط إدارته فارتأينا أن يكون موضوع دراستنا حول الدواوين في الدولة المملوكية

أهمية الدراسة :

الدواوين لها أهمية كبيرة في الجانب الإداري وحتى في الجانب السياسي فقد ساهمت في ضبط أمور الدولة ، حتى أن السلاطين أعطوها جانبا من الاهتمام كبير لأهميتها في تنظيم الوظائف والمهام السلطانية

أسباب اختيار الموضوع:

جاء هذا البحث وفق جملة من الدوافع والدواعي التي جعلتنا نخوض غمار هذا الموضوع وتمثلت هذه الأسباب في :

أ- **دواعي ذاتية :**

الميول الشخصية والرغبة في معرفة أنواع الدواوين وأهم موظفيها ونشاطاتهم ، زمن المماليك لأنه يساعد على إعطاء نظرة صحيحة لنظام الدولة .

ب- دواعي موضوعية :

- الكشف عن بعض الغموض في بعض المسائل التي تتعلق بالدواوين السائدة في الدولة المملوكية بمصر والشام.
- هذا الموضوع لم تمنح له الدراسات الرصيد الكافي فحاولنا تداركه وأردنا إبرازه وتسليط الضوء عليه .

الهدف من الدراسة :

الهدف من دراسة هذا الموضوع هو تقديم دراسة شاملة عن الدواوين في الدولة المملوكية وبعض مصادر الدخل الخاصة بها ، والتعرف على أهم موظفي الدواوين ومهامهم والبحث عن الحقائق المتعلقة بهذه الدواوين .

الإطار الزماني والمكاني :

جاء موضوع دراستنا والذي هو بعنوان الدواوين في العصر المملوكي في بلاد مصر والشام وذالك خلال ثلاث قرون تقريبا امتدت بين (648هـ-923هـ/1250م-1517م).

إشكالية الدراسة :

وعلى هذا الأساس تبادر إلى أذهاننا تساؤل مهم حول هذا الموضوع وهو :

- كيف كان تنظيم الدواوين في دولة المماليك في مصر والشام ؟

وضمن هذا التساؤل يندرج منه مجموعة من التساؤلات الفرعية المتمثلة في :

- ما هي الدواوين في المشرق الإسلامي ؟
- كيف كان قيام دولة المماليك ؟
- منهم أهم سلاطينها ؟
- فيما تمثلت الدواوين الحكومية في الدولة المملوكية ؟

- ما هي الدواوين السلطانية في لدولة المملوكية ؟ و ما هي اقطاعتها ؟

منهج الدراسة :

تعد المناهج من النقاط الأساسية للبحث العلمي ومن أجل الوصول للإجابة عن كل هذا التساؤلات اعتمدنا في دراستنا على مناهج متعددة في مقدمتها المنهج الوصفي والتحليلي ،لأن المنهج الوصفي هو الأنسب لوصف صفات أصحاب الدواوين والتحليلي لتحليل المعطيات اضافة إلى الاستعانة بالمنهج المقارن للنظر في التغيرات التي طرأت على هته الدواوين

الدراسات السابقة:

امّا فيما يتعلق بمسالة الدراسات السابقة فنحن لم نعتمد على اي دراسة ولم نصادف في طريقنا دراسة لها علاقة بهذا الموضوع,سوى وجود دراسة واحدة لم تكن متوفرة باي شكل من الاشكال وجاءت تحت عنوان "الدواوين السلطانية واقطاعاتها في دولة المماليك الجراكسة في الفترة مابين (784هـ -923م) من اعداد هشام عبد القادر عبده عطية وهي عبارة عن رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي بمصر .

خطة الدراسة :

للإجابة على الإشكاليات المطروحة وبناءا على ما توفر من مادة العلمية توجب علينا أن نتبع الخطة المكونة من أربعة فصول : فصل تمهيدي وثلاث فصول رئيسية ،و استهلينا موضوعنا بمقدمة شاملة

- جاء الفصل التمهيدي تحت عنوان "الدواوين في المشرق الإسلامي" افتتحناه بتمهيد وقسمناه إلى ثلاث مباحث تضمن المبحث الأول الدواوين في عهد عمر ابن الخطاب والمبحث الثاني بعنوان الدواوين في الدولة الأموية فيم تمثل المبحث الثالث في الدواوين في الدولة العباسية ،وختمنا الفصل بخاتمة .

- أما الفصل الأول فكان بعنوان "الدولة المملوكية "حيث تطرقنا في هذا الفصل إلى ثلاث مباحث إضافة إلى تمهيد فالمبحث الأول كان بعنوان قيام دولة المماليك والمبحث الثاني والثالث بعنوان سلاطين المماليك البحرية و الجراكسة و ختمتاه هو الأخر بخاتمة .
- أما فيما يخص الفصل الثاني المعنون ب "الدواوين الحكومية" في الدولة المملوكية إستهلينا بتمهيد وختمناه بخاتمة وقسمناه إلى أربعة مباحث المبحث الأول بعنوان ديوان الجيش والمبحث الثاني بعنوان ديوان الإنشاء فيما خصصنا المبحث الثالث لثلاث دواوين ،ديوان الأحباس وديوان النظر وديوان المظالم والمبحث الرابع لمجموعة من الدواوين الثانوية
- أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان "الدواوين السلطانية" في الدولة المملوكية وقسمناه هو الأخر إلى أربعة مباحث ،المبحث الأول بعنوان ديوان الوزارة والمبحث الثاني بعنوان ديوان الخاص ، والمبحث الثالث بعنوان ديوان المفرد والمبحث الرابع بعنوان ديوان الأملاك والذخيرة .
- وختمنا دراستنا بخاتمة حول الموضوع جاءت كحوصلة عن التساؤلات المطروحة ، كما اعتمدنا على مجموعة من الملاحق تمثلت في جداول لبعض الدواوين في المشرق الإسلامي والدولة المملوكية .

مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمدنا في وضع هذه الخطة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة من أجل الإحاطة بالموضوع من جهة منها :

الفصل التمهيدي :

- الماوردي : الأحكام السلطانية،تح:أحمد جاد،دط،دار الحديث القاهرة،افادنا في نشاة الدواوين وديوان الجيش وتعريب الدواوين.
- عبد الفتاح : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ،ط1،دار المسيرة،عمان،2012افادنا في ديوان الجيش والستيفاء والخاتم وديوان البريد والرسائل وديوان الجيش والمظالم.

الفصل الأول:

- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور،دط،النشرات الإسلامية،القاهرة ،افادنا في سيف الدين قطز وبيبرس البندقداري و الناصر مُحَّد ابن قلاوون والظاهر سيف الدين برقوق.
- سعيد عبد الفتاح عاشور :العصر المماليكي في مصر والشام،ط2،دارالنهظة العربية، القاهرة 1976افادنا في ظهور المماليك ومعز الدين ايبك وبيبرس البندقداري.

الفصل الثاني :

- المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار،دط،دار الصادر ،بيروت،دت افادنا في ديوان الجيش والاحباس و الاصطبلات.
- مفيد الزيدي : العصر المملوكي، دط،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن2009افادنا في ديوان النظر والاحباس والانشاء و الجيش.

الفصل الثالث:

- القلقشندي:صبح الأعشى في صناعة الإنشا،دط،مطبعة الأميرة ، القاهرة 1914افادنا في ديوان الوزارة و الخاص والمفرد والذخيرة.
- مجدي عبد الرشيد بحر:القرية المصرية ،القرية المصرية،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب افادنا في ديوان الوزارة والخاص و المفرد والاملاك.

صعوبات الدراسة :

لاشك في أن كل باحث يواجه مجموعة من الصعوبات التي تقف في طريقه ،والتي حدثت معنا وتعددت هذه العراقيل وهي كتالي :

- قلة المصادر المتخصصة في هذا المجال وندرة بعضها وعدم إيجاد الطريقة التي تساعدنا على الاقتناء بعضها.
- مشكلة ضبط تاريخ الدراسة بحكم أن الدولة المملوكية عمرت لمدت ثلاث قرون تقريبا ،وتعاب عليها في هذا المدة العديد من الحكام ولوجود العديد من المشاكل السياسية لم تركز الدراسة على هذا الجانب في هذه الفترة .

قام الرسول ﷺ بإرساء أسس النظام الإداري في دولته بإعتباره جزءاً مكملا لها، وهو اول من وضع لدولته هذا الجهاز الإداري، ثم جاء من بعده يطورونه شيئاً فشيئاً الى غاية ظهور ما يسمى بالدواوين في الدولة الاسلامية التي قامت بتقطيع الدولة.

المبحث الأول: الدووين في عهد عمر الفاروق

1- نشأة الدووين:

أدخل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه نظام الدووين بعد أن أشار اليه بذلك أحد مرازبة الفرس، وبعد ان توالت الفتوحات الاسلامية وتأثرت الدولة العربية بما ملكلته من كنوز الفرس، رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه توزيع هذه الأموال على المسلمين، فدون الدواوني وفرض العطاء وجعل لكل واحد من المسلمين عطاء.[1]

اختلفت بعض المصادر في تحديد نشأة الدواوين، فيحدد الطبري نشأتها سنة (15هـ/636م)[2]، بينما يحددها الماوردي في سنة (20هـ/641م).[3]

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر[4]، وهو موضع لحفظ كل ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ، ويرجع الماروردي في تسميته بهذا الاسم الى وجهان، احدهما أن كسرى طلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذف الهاء لكثرة الاستعمال فقيل ديوان، والثاني أن الديوان بالفارسية اسم الشياطين فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم في الأمور[5].

1- حسن ابراهيم حسين، علي ابراهيم حسين، **النظم الاسلامية**، د.ط، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، د.ت، ص180.
2- الطبري، **تاريخ الرسل والمملوك**، تح: مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، د.ت، ج3، ص613.
3- الماوردي، **الأحكام السلطانية** ، تح: أحمد جاد ، د.ط، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص299.
4- حسن إبراهيم حسين، مرجع سابق، ص180.
5- الماوردي، مصدر سابق، ص298.

وكما قلنا سابقاً فإن أول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية هو عمر الفاروق، ويقال بسبب مال أتى به أبو هريرة ﷺ من البحرين[1].

ويحدثنا البلاذري عن أبي هريرة ﷺ أنه قدم عمر من البحرين قال فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس ثم قال لي: ماجئت به قلت: بخمس مائة ألف. قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئت بخمسة مائة ألف. قال: ماذا تقول؟ قلت مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف فدون خمساً ، فقال: إنك ناعس فارجع إلى أهلك فنم فإذا أصبحت فاتني. قال أبو هريرة: فغدوت إليه فقال: ماجئت به، قلت: خمس مائة ألف . قال: أطيب أنت ؟ قلتنعم، لا أعلم إلا ذاك. فقال للناس: إنه قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعده لكم عدداً، وإن شئتم نكيله لكم كيلاً، فقال له رجل[2] يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون للناس عليه، قال : فدون الديوان[3].

جاء ظهور الديوان إستجابة لإتساع موارء الدولة الاسلامية، ولمراقبة أموالها وتحركات جنودها، ولتنظيم عائدات الخلافة أو الدولة وطريقة توزيعها بإشراف صاحب بين المال، الذي كان يتمتع بسلطة واسعة فرأى عمر ﷺ التوسيع على المسلمين وتوزيع تلك الأموال[4].

2- ديوان العطاء:

بعد أن أصبح عمر ﷺ خليفة ودون الدواوين ،رأى بأن يوزع الأموال التي جاءت بها على المسلمين[5]، فقال الفاروق للصحابة بمن نبدأ . فقال له عبد الرحمان بن عوف: إبدأ بنفسك . فقال عمر: أذكر اني حضرت مع رسول الله وهو يبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب، فبدأ بهم عمر ثم بمن

1- ابن خلدون، **المقدمة**، تح: عبد مُحَّد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1، ص427.

2- إختلفت المصادر حول صاحب فكرة إنشاء الديوان هناك من يقول أنه خالد بن الوليد، أنظر: ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص428، وهناك من يقول الوليد بن هشام بن المغيرة، أنظر الطبري، ج5، ص23.

3- البلاذري، **فتوح البلدان**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ص635.

4- جمال الدين فاتح الكيلاني، **التاريخ الاسلامي**، تق: صالح أحمد العلي، د،ط، مكتبة مصطفى، القاهرة ، 2012، ص69.

5- نفسه

يليهم من قبائل قريش بطناً بعد بطن، حتى استوفى جميع قريش ثم إنتهى الى الانصار وبدأ برهط سعد بن معاذ من الأوس[1]، فيما يحدثنا البلاذري انه لما افتتح عمر ﷺ العراق والشام جنى الخراج وجمع أصحاب رسول الله فقال: إني رأيت أن أفرض العطاء لأهله فقالوا: نعم رأيت الرأي يا أمير المؤمنين. قال: فبمن أبدأ ؟ قالوا: بنفسك: قال: لا ولكني أضع نفسي حيث وضعها الله، وبدأ بأهل رسول الله فقال: أكتب عائشة أم المؤمنين في اثني عشر ألف، واكتب سائر أزواج النبي في عشرة آلاف ، وفرض لعلي خمسة آلاف، وفرض مثل ذلك لمن شهد بدراً من بني هاشم، وفرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم وفرض لمن كان له اسلام كإسلام أهل بدر ومن مهاجرة الحبشة وممن شهد أحداً أربعة آلاف درهم لكل رجل، وفرض لأبناء البدريين ألفين إلا الحسن والحسين فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابته بالرسول ، وقال بعضهم فرض فرض له سبعة آلاف وفض لكل من هاجر قبل الفتح ألفين، ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم[2].

وبقي الديوان بعد الاسلام على ما كان عليه ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية[3].

3- ديوان الجيش:

كان لنشأة ديوان الجيش إرتباطاً بتدوين الدواوين او تسجيل أسماء الجنود، وذلك من أجل مواجهة الزيادة التي كانت قد طرأت على عدد من الجنود وضرورة إحصائهم، ولترتيب أمورهم، وتوفير أعطياتهم، ومن أجل ذلك كان لا بد من تخصيص ديوان للجيش، يتقدمها أفراد ديوان الجيش في المرتبة الأولى والعطاء، تتداخل هذه مع الأسس العامة التي يترتب وفقها الناس عند فرض العطاء[4]، وديوان الجيش يشمل على ديوان السلطة من إثبات وعطاء فإثباتهم في الديوان معتبر بثلاثة شروط وهي:

1- فتيحة عبد الفتاح، **تاريخ النظم والحضارة الاسلامية**، ط1، دار المسيرة، عمان، 2012، ص114.
2- البلاذري، مصدر سابق، ص629-630.
3- ابن خلدون، مصدر سابق، ص427.
4- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص119.

1. **الأول:** الوصف الذي يجوز اثباتهم

2. **الثاني:** السبب الذي يستحق به ترتيبهم.

3. **الثالث:** الحال التي يقدر بها عطائهم.

– وكان ضرورة إذا أراد بعض من الاعضاء ان يستغني أجيز له مع الاستغناء عنه في حالة الضرورة إلى ذلك، وإن إمتنع أفراد الديوان عن القتال وهم أشفاء سقطت أرزاقهم ، وكان الجندي يعوض في دابته وسلاحه وإذ مات كان ما مقدر له من عطائه موروثاً عنه، وهو دين لورثته[1].

4– ديوان الإستيفاء:

تعود نشأة هذا الديوان إلى حاجة الدولة لإحصاء خراج البلاد المفتوحة وتنظيم الإنفاق فيها، وقد ثبتت أهمية هذا الديوان في الدولة الإسلامية عندما تعدد مصادر الدخل وكثرة ثروة الدولة وتشعبت وجوه الإنفاق[2].

يقول الماوردي: وأما ديوان الاستيفاء وجباية الأموال فجرى هذا الأمر فيه بعد ظهور الإسلام بالشام والعراق على ما كان عليه من قبل، فكان ديوان الشام بالرومية؛ لأنه كان من مماليك الروم، وكان ديوان العراق بالفارسية؛ لأنه كان من مماليك الفرس، فلم يزل أمرهما جاريًا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فنقل ديوان الشام إلى العربية وذلك في سنة (81هـ/701م)[3].

1– الماوردي، مصدر سابق، ص302.305.

2– فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص120.

3– الماوردي ، مصدر سابق، ص 300.

المبحث الثاني: الدواوين في الدولة الأموية

1- ديوان الخاتم:

كان أول من أنشأة هذا الديوان في الدولة هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، وكان هذا الديوان أكبر دواوين الدولة الإسلامية العربية، وكان يقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها في هذا الديوان بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع ثم تختم بخاتم صاحب الديوان[1].

-كان سبب انشاء هذا الديوان هو ان معاية أحال رجلاً على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم، فقرأ الرجل الكتاب وكانت تواقيهم تصدر غير مختومة في ذلك الوقت، فجل المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه الى معاوية أنكر الأخير ذلك وقال: ما أحلته إلا بمائة ألف، ثم استعادها من الرجل ووضع ديوان الخاتم[2]، وقام معاوية بحزم الكتب ولم تكن تحزم ، وكان لنشوء هذا الديوان من اجل الحفاظ على امن الدولة وحفظ سرية الكتب الواردة الى الخليفة والصادرة عنه.[3]

2- ديوان الرسائل والبريد:

فديوان الرسائل هو الذي كانت تصدر منه الرسائل الى الأمراء والعمال في الإمارات المختلفة[4]، وكان صاحب هذا الديوان يشرف على الولايات والرسائل التي ترد من الولاة[5].

أما ديوان البريد كان سبب إنشائه من أجل ضمان وصول الأخبار بسرعة طلباً لحفظ الأموال[6].

1- جمال الدين الأفغاني الكيلاني، مرجع سابق، ص70.

2-الفخري :**الآداب السلطانية**، د.ط: دار صادر، بيروت، د.ت، ص107.

3- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص122.

4- مُحَمَّد الخضري، **الدولة الأموية** ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص449.

5- حسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص181.

6-الفخري :مصدر سابق، ص106.

3- تعريب الدواوين:

بمجيء عبد الملك بن مروان وتربعه على الخلافة العباسية انتقل القوم من عضاضة البداوة الى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأمية الى حذف الكتابة[1]، كنا وقتها ديوان الشام بالرومية لأنه كان من مماليك الروم وكان ديوان العراق بالفرسية لأنه من مماليك الفرس[2]، فقام عبد الملك بن مروان بأمر سليمان بن سعد والي الأردن أن ينقل ديوان الشام الى العربية[3]، وكان ذلك سنة (81هـ/701م) وكان سبب نقله هو ما حكاه المدائني أن بعض كتاب الروم في ديوانه أراد ماءً لدواته، فبال فيها بدلاً من الماء فأدبه بذلك وتم أمر تعريب الديوان، ولما فرغ سليمان بن سعد من تعريب الديوان أتى به الى عبد الملك بن مروان، وأما ديوان العراق[4] كان بالفارسية وكان سبب نقله أن أمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمان وكان يكتب بالعربية والفارسية أن ينقل الديوان الى العربية[5] ، وكان له كاتب يسمى زاذان فرخ خاطب الأخير صالح قائلاً: إن الحجاج قد قربني ولا أمن عليك أن يقدمني عليك، فقال: لا تظنن ذلك فهو إلي أحوج مني إليه لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري، فقال صالح: والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لفعلت، قال: فحول منه ورقة أو سطراً حتى أرى، ففعل ثم قتل زاذان فاستخلف الحجاج صالح وتعرب الديوان[6]، وكان لتعريب الدواوين أثر كبير من الناحيتين السياسية والأدبية فمن الناحية السياسية ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة بعد أن انتقلت مناصبهم الى المسلمين، أما من الناحية الأدبية فقد أصبحت اللغة العربي لغة التدوين، فنقل إليها كثيرا من الاصطلاحات الفارسية والرومية، وسارى ولاة عبد الملك على سياسته في تعريب الدواوني.

1- إبن خلدون، مصدر سابق، ص427.
2- الماوردي، مصدر سابق، ص301.
3- ابن خلدون، مصدر سابق، ص427.
4- الماوردي، مصدر سابق، ص 301.
5- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 427.
6- الماوردي، مصدر سابق، ص301.

أما الدواوين في مصر فقد ذلت تدون باليونانية الى غاية خلافة الوليد بن عبد الملك وسارى هو الآخر على سياسة والده.

فحول ديوان خراجها الى العربية وقام بها واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك سنة (87هـ/707م)[1].

4- ديوان الطراز:

لما فتح المسلمون بلاد فارس والروم واتسع ملكهم وعظمت دولتهم، اقتدوا بالأكاسرة والقياصرة فاتخذوا الطراز عن الروم، والروم كانوا يتخذون طرزاهم من الصور فلم يستحسن المسلمون ذلك لتحريمها في الاسلام فاستبدولها بكتابة أسماءهم وكلمات أخرى كالفأل والدعاء، وظل المسلمون على ذلك الى غاية عهد عبد الملك بن مروان، فنقل هذا الديوان الى العربية، وبدأ بالقراطيس والتي كانت تنسج بمصر وكان طرازها (باسم الأب والإبن وروح القدس) ، فأمر عبد الملك باستبدال هذه الكلمات وترجمتها وأرسل الى عبد العزيز عامله على مصر يأمره باستبدال هذا الطراز بإحدى الشهادتين، وظل هذا الطراز ولم يغير شيء من جوهره، وكتب عبد الملك الى عماله بإبطال القراطيس المطرزة بطراز الروم[2]، وكان لهذا الديوان دور معدة لنسج اثوابهم في القصور وتسمى دور الطراز، وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز كان ينظر في أمور الصباغ والآلة والحاكة وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم[3].

1- حسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص175.

2- نفسه، ص173.

3-ابن خلدون، مصدر سابق، ص452.

المبحث الثالث: الدواوين في الدولة العباسية

1- ديوان البريد والرسائل (كتابة الإنشاء):

ديوان البريد كان له مكانة فريدة في العصر العباسي واعتمد عليه الخلفاء كثيراً في إدارة شؤون دولتهم، وقيل عن أبي جعفر المنصور أنه كان يقول: ما كان أحوجني الى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، وذكر أولهم قاض وثانيهم صاحب شرطة وثالثهم صاحب خراج ورابعهم صاحب بريد وذلك من اجل أن يكتب له اخبار الثلاثة السابقين[1]، مع العلم أن البريد كان مهملاً في الدولة العباسية في بداية عهدها أيام السفاح والمهدي، إلا أن الرشيد أعاد الاهتمام بالبريد من اجل الاطمئنان على الدولة والمسلمين، وتولى أمر هذا الديوان صاحب البريد واهتمت الدولة بصاحب البريد[2].

أما ديوان الرسائل أو الانشاء فترتبط نشأة الكتابة ببداية التاريخ المدون للإنسان وحضارته المسجلة، واهتم الخلفاء والسلاطين بالكابة حتى غدت عماد المملكة، وديوان الإنشاء من أقدم الدواوين في الإسلام وتطورت الكتابة بشكل أوسع في العصر العباسي، وكان ديوان الانشاء أو ديوان الرسائل يضاف الى الوزارة أحياناً وكان الوزير هو الذي يتولى أحوال الديوان، وينقسم العاملون في هذا الديوان الى الكتاب وصاحب الديوان وخازن الديوان[3].

كان هذا الديوان عند بني العباس رفيع، وكاتبه يصور السجلات المطلقة ويكتب في آخرها إسمه ويختم عليها بخاتم السلطان[4]، وكاتب الرسائل أول داخل وآخر خارج على الملك والكاتب يدل في عهد السفاح على الوزارة إذ لقب كاتبه أبا سلمة بالوزارة[5].

1- مُحَمَّد عبد العظيم أبو نصرة، **الدولة العباسية**، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009، ص254.

2- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص127-128.

3- نفسه، ص ص 136.130.

4- ابن خلدون، مصدر سابق، ص429.

5-هيثم جمعة هلال، **الدولة العباسية**، ط1، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، 2012، ص353.

2- ديوان الجيش وديوان المظالم:

كان للجيش العباسي ديوان خاص بهم وكانت صلاحية الجند للخدمة العسكرية تخضع لإختيار دقيق يشرف عليه جماعة من كبار القواد[1]، وفي هذا الديوان يتم تثبيت أسماء الجنود وتقدير أعطياتهم[2]، ولهذا الديوان مجلسان أحدهما مجلس التقرير وثانيهما مجلس المقابلة، فالأول متعلق بأمر استحقاقات الرجال والاستقبالات وأوقات أعطياتهم والثاني يرجع إليه الديوان في أكثر أعماله[3].

وديوان المظالم كان من أهم ما أنشأه العباسيون ويشبه الهيئة القضائية العليا أو ما يعرف اليوم بمحكمة الإستئناف وصاحب هذا الديوان يسمى صاحب المظالم وسلطته أعلى من سلطة القاضي ووظيفته هي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظمة رهبة تقوم بقمع المظالم من الخصمين، وتولى بعض الخلفاء العباسيين في النظر في المظالم كالخليفة المهدي[4]، وحددوا لذلك وقتا خاصاً للنظر في مظالم الرعبة ولما إستنابوا للنظر في المظالم جلس لها الوزراء والسلاطين وصارى النظر في المظالم إليهم[5]، وقد تطور مع الوقت اختصاص محكمة المظالم غالباً في المساجد[6].

3- ديوان النفقات وبيت المال:

تدخل صلاحيات هذا الديوان ضمن حاجات دار الخلافة[7]، ويتكون هذا الديوان من عدة أقسام هي: مجلس الجاري، مجلس الأنزال، مجلس الكراع، مجلس البناء، مجلس الإنشاء التحرير، مجلس النسخ[8].

---

1 - مُحَمَّد عبد العظيم أبو نصرة، مرجع سابق، ص258.

2- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص126.

3- هيثم جمعة هلال، مرجع سابق، ص 359.

4- مُحَمَّد عبد العظيم أبو نصر ، مرجع سابق، ص263.

5- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص150.

6- مُحَمَّد عبد العظيم أبو نصرة، مرجع سابق، ص 263

7- نفسه، ص253.

8- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص126.

فيما يخص بيت المال ففيه يتم تحديد نفقات الدولة، وهو بذلك يكون ذا صلة بديوان النفقات ومهمته الإشراف على ما يرد بغداد من أموال الأقاليم وغيرها[1].

4- ديوان الزمام:

أول من أدخله هو الخليفة العباسي المهدي ويعني به على ان يقوم على كل ديوان زمام من شأنه ضبط أمور الديوان وتتبع أحواله[2]، ويقصد به أن الدواوين تجمع عند رجل واحد يقوم بضبطها بزمام له على كل ديوان.

الى جانب هذه الدواوين المهمة هناك دواوين أخرى تتصل بالإدارة والسياسة والقضاء ، منها ديوان الخراج والموالي[3] وديوان التوقيع والخاتم والطراز والأحباس[4].

-كان لظهور الدواوين في الدولة الاسلامية الأثر الكبير في تنظيم وتسيير شؤون الإدارة الاسلامية وضبط أمورها، ومع اختلاف العصور ظهرت انواع جديدة من الدواوين وذلك عبر العصور الثلاثة، الراشدي والأموي والعباسي.

1- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 128.

2- نفسه، ص125.

3- حسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص 176.177

4- هيثم جمعة هلال، مرجع سابق، ص 360.

– خلال العصر العباسي ظهرت دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية في مقابل ذلك كانت هناك دويلات تابعة لها، منها الدولة المملوكية التي ظهرت على أنقاض الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام والتي كان أسيادها الرقيق الأبيض.

المبحث الأول: قيام دول المماليك

1– ظهور المماليك:

المماليك مفرد مملوك على وزن اسم مفعول مشتق من الفعل العربي ملك، ثم اتخذ هذا اللفظ معنى اصطلاحي خاص في التاريخ الاسلامي واصبح بقصد به المماليك وهم الرقيق الأبيض، وأصبحوا على ذلك بسبب الأسر في الحروب أو شرائهم من قبل اتجار الذين يجلبونهم الى البلاد الاسلامية حيث يطلبون أثماناً مرتفعة لبضاعتهم.

العباسيون هم أول من استخدم المماليك والاعتماد عليهم وحرصوا على الاكثار من شرائهم لدعم نفوذهم وسلطانهم ، وذلك بسبب إزدياد نفوذ الفرس بعدها شاع استخدام المماليك في الدولة الاسلامية وكانت مصر من الولايات التي شهدت إزدياد نفوذ المماليك حتى تملكوا البلاد فطولون الذي أسس إبنه الدولة لاطولونية في مصر كان مملوكاً واستعان الطولونيين بالمماليك من اجل دعم استقلالهم بمصر، وأيضا اعتمد مُحَمَّد ابن طفج الأخشير لما أسس إبنه دولته الإخشيدية في مصر على المماليك من الأتراك، إلى أن قامت الدولة الأيوبية لتفتح أبواب جديدة للمماليك من أجل التغلغل في البلاد[1].

2– نشوء دولة المماليك:

بدأ الظهور الفعلي للمماليك بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ونشوب الصراع بين الأمراء الأيوبيين الذي أدى الى إضعاف وحدة الدولة الأيوبية وصراع الأمراء الأيوبيين ع الأسر القريبة مثل آل زنكي في الموصل ، فلم يكن للأيوبيين حل سوى الاكثار من شراء المماليك وتدريبهم ليكونوا سنداً لهم في الصراعات الداخلية،

1– سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المماليك في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص1.2.

أي أصبح لكل أمير عصبة لنفسه من المماليك ليعتمد عليهم في الحفاظ على حكمه وزاد نفوذ المماليك في القرنين (6 و 7هـ/12 و13م) وتدخلوا في تعيين الأمراء وذلك من اجل مصالحهم الشخصية[1]، كما استطاع المماليك وقام أربعة منهم بخنق العادل[2]، فأحس الصالح أيوب بفضل المماليك عليه، فأكثر من شرائهم بشكل كبير فخلال مدة حكمه أضاف الى جيشه دفعة قوية واحدة تحوى أكثر من ألف مملوك تركي، وجعل منهم جيشاً قوياً سانده في فرض إدارته على الاقاليم والقضاء على حركات التمرد الداليخة، وكنا ولاء المماليك للصالح نجم الدين أيوب مطلقاً ، واستطاع إعادة هيبة الدولة الأيوبية الى غاية وفاته أثناء الحملة الصليبية السابقة[3]، ثم تولى بعد إبنه توران شاه وطان عديم الرأي أهوج وكان عكس أبيه بما فيه من خصائل حميدة قام وأطرح جانب الأمراء الكبار الذين كانوا في دولة أبيه وصرف وجهه عنهم، بذلك قام المماليك بقتله ومن أسباب قتله أيضاً أنه تهدد وتوعد لشجرة الدروهي زوجة أبيه وطلب منها الأموال والجواهر ، فقامت وحرضت الأمراء على قتله[4]، فتقدم اليه واحد من البحرية وهوبيبرس البندقداري الذي صار إليه ملك مصر وضربه بالسيف[5]، ثم اجتمع الأمراء على تمليك أم الخليل شجرة الدر، وأن يكون نائبها الأمير عز الدين أيبك التركماني[6]، بذلك إنتقل الحكم الى المماليك البحرية.

يرجع لنا المقريزي الى أصل تسميتهم بالبحرية هو ان الصالح نجم الدين أيوب لما قام بشراء المماليك صاروا بطانته والمحيطين بدهليزه وأسكنهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل، وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك وقبل ثمانمائة وسماهم البحرية[7].

1- مفيد الزيدي، **العصر المملوكي**، د.ط: دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص20.

2- المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص458.

3- علي مُحَمَّد القلابي، **المغول بين الانتشار والانكسار**، ط1، مركز السلام للتجهيز الفني، د.و.ن، 2009، ص299، 300.

4- الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ط، د.د.ن، القاهرة، 1972، ج7، ص382.381.

5- المقريزي، مصدر سابق، ص458.

6- الداوداري، مصدر سابق، ص383.

7- المقريزي، مصدر سابق، ض441.

3- سلطنة شجرة الدر:

تمت مبايعة السلطانة الجديدة في سنة (648هـ/1250م) باعتبارها أم ولد الصالح نجم الدين أيوب خليل[1]، وخطب لها على المنابر في مصر والقاهرة ونقش إسمها على السكة وكان الخطباء يقولون في الدعاء (اللهم أدم سلطان الستر الرفيع والحجاب المنيع ملكة المسلمين والدة الملك الخليل)، ووصل مقتل الملك المعظم توران شاه واقامة شجرة الدر في السلطنة الى دمشق[2].

شجرة الدر كانت جارية مملوكية في مصر، ثم أصبحت حضية الملك الصالح نجم الدين، ويعتبرها معظم المؤرخين أولى سلاطين المماليك البحرية في مصر كونها من المماليك[3].

قامت شجرة الدر بالقبض على زمام الأمور في مصر، وأول ما اهتمت به تصفية الموقف مع الفرنج وإنهاء المفاوضات التي بدأت في عهد توران شاه لترحليهم عن البلاد المصرية ، وتم الاتفاق مع الملك لوسيع التاسع ملك فرنسا على تسليم دمياط، وأخذت شجرة الدر تتقرب الى الخاصة والعامة وتعمل على إرضائهم لكن رغم ذلك فإن المصريين نفوا قيام إمرأة على السلطة[4]، ووصل الخبر الى بغداد فبعث الخليفة العباسي المعتصم بالله من بغداد الى المماليك في مصر كتاباً يعيب فيه على الأمراء على إقامتهم إمرأة في الحكم قائلا: (إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجالاً)، ويبدوا لنا من هذا النص على أن الخليفة العباسي لم يكن معترضاً على حكم المماليك وانما معترض على تنصيب إمرأة في الحكم فاجتمع الأمراء للمشورة واتفقوا على إقامة عز الدين أيبك وخلعت نفسها عن الحكم وتنازلت وكانت مدة حكمها على حسب المقريزي ما يقارب ثلاثة أشهر[5] بذلك فترة حكمها الفاصل بين سقوط الدولة الأيوبية والتي كانت مدة حكمها (567هـ-648هـ/1250م-1250م) وقيام دولة المماليك (648هـ-923هـ/1250م-1517م) وينقسم العصر المملوكي الى قسمين المماليك البحرية والمماليك البرجية.

1- أحمد المختار العبادي، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، د.ط، مؤسسة الشباب الجامعية ، الاسكندرية، 2006، ص 151.

2- المقريزي، مصدر سابق، ص ص 459 .462.

3- علي مُحَمَّد الصلابي، مرجع سابق، ص301.

4- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص ص 116 .118.

5- المقريزي، مصدر سابق، ص464

المبحث الثاني: سلاطين المماليك البحرية

1- معز الدين أيبك (648-655هـ/1250-1257م):

تركي الأصل والجنس، انتقل الى ملك السلطان الصالح نجم الدين أيوب وترقى عنده في الخدم حتى صار أحد أمراء الصالحية، وبعد موت الصالح نجم الدين أيوب ومقتل ابنه صار أيبك أتابك العساكر، وبعد معارضة الخليفة العباسي سلطنة شجرة الدر[1] تولى أيبك عرش مصر وصار بذلك هو السلطان وتلقب باللقب السلطاني (الملك المعز)، ولم يكن في الواقع أكبر أمراء المماليك سناً او أقدمهم خدمة أو أقواهم مكانة، إذ يوجد منهم أكبر وأقدم منه أمثال فارس الدين أقطاي والظاهر بيبرس، إلا أن الحوادث دلت على أيبك رجل يمتاز بصفات السياسة والحزم والشجاعة ولم يكن ذو شخصية ضعيفة ومن المشاكل التي واجهت السلطان أيبك، تهديدات الأيوبيين والصليبين في الخارج وثورات الأعراب في الداخل وخذر المماليك في داخل البلاد وخارجها[2].

حدثنا المقريزي على أن أمراء المماليك إتفقوا على إقامة شخص من بين الملك مع أيبك واتفقوا على تعيين الملك شرف مظفر الدين موسى ابن الملك مسعود يوسف بن الملك مسعود يوسف ابن كامل مُحَمَّد ابن العادل أبي بكر بن أيوب، على أن يقوم أيبك بتدبير الدولة والأشرف ليس له سوى الإسم في الشكرة ، وبرز إسمهما على التوقيع والمراسيم على التوقيع والمراسيم، ونقش أسمائهما على السكة وخطب لهما على المنابر وفي سنة (650هـ/1252م) أزال الملك أيبك اسم الملك أشرف من الخطبة وانفرد باسم السلطنة وسجن الأشرف، وفي سنة (652هـ/1254م) تم نفي الأشرف[3].

ما إن لبث أيبك على السلطنة حتى أحاطت به العديد من الصعاب أولهم خطر الأيوبيين في الشام والبحرية في مصر فالأيوبيين في الشام عاشوا حالة سيئة وجمعوا قوامهم لغزو مصر والقضاء على الدولة الجديدة، أما المماليك البحرية عز علهم أن يتولى أيبك السلطنة وهو ليس ببحرية، فثارو عليه بعد خمسة أيام

1- المقريزي، مصدر سابق، ص463.
2- علي مُحَمَّد الصلابي، مرجع سباق، ص307.
3- المقريزي، مصدر سابق، ص463.

من تنصيبه وكان هدفهم الانفراد بالحكم هذا ما جعلهم يضعون الملك الأشرف في الحكم مع أيبك، وقام زعماء البحرية بالترحيب بذلك بذلك الملك الطفل اذي عمره كان ستة سنوات من أجل التحكم فيه ، وأيبك رأى فيه ذلك وسيلة لتخدير بني أيوب، والأيوبيين لم تنطل عليهم هذه الحيلة فقرر الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب الزحف الى مصر، فقام أيبك بالقبض على بعض أمراء المماليك الذيم لهم ميول للايوبيين وأعلن في القاهرة أن البلاد للخليفة المعتصم بالله والمعز نائبه فيها وخشى أيبك حدوث تفاهم بين الأيوبيين والصليبيين بقيادة لويس التاسع فراح يتقرب من لويس التاسع وأطلق سراح بعض الأسرى الصليبيين، ثم قام زعماء البحرية وتناسوا عصبيتهم ليجعلوا منها عصبية كبيرة، تجعل منهم ومن أيبك وبقية المماليك كتلة واحدة امام الخطر الأيوبي وخرج المعز مع مماليكة وحلت بهم الهزيمة لكنهم عادوا ولإنتصروا على الأيوبيين سنة (649هـ-1251م) وتم حصول اتفاقية بين الأيوبيين والمماليك بطلب من الخليفة العباسي المستعصم بالله لمواجهة خطر المغول وذلك سنة (651هـ/1253م) وكان مقتضاه أن صار للمماليك مصر وفلسطين ونهر الأردن وغزة والقدس على أن تكون بقية بلاد الشام للأيوبيين[1].

ثاني خطر تعرض له أيبك هي الثورة التي قام بها الأعراب سنة (651هـ/1253م) وكان هؤلاء الأعراب شعب زراعي وثوراتهم كانت بسبب تعسف أمراء المماليك في تحديد أثمان المنتجات الزراعية وإحتكارها. وكانت تنتهي هذه الثورات في العادة بهزيمة الأعراب، واستخدام المماليك لقمع هذه الثورات وسائل تعتمد على القسوة والقهر وأدت هذه السياسة الى هجرة الأعراب ، وكانت أهدافهم بالإضافة الى الجانب الاقتصادي هدف سياسي وهو إلغاء حكم المماليك، وتزعم الثورة التي كانت ضد أيبك حصن الدين بن ثعلب خرج أقطاي من القاهرة مع خيرة من المماليكوتوجه الى الشرقية حيث توجد أكثر مظاهر العصيان وتغلب عليهم بفضل تفوقه الحربي ومهارته وتهدمت المقاومة سنة (651هـ/1253م)[2]، بذلك بدأ إزدياد نفوذ البحرية وأصبح وضع لا مفر منه من وقوع اصطدام بين أقطاي وأيبك، فقرر الأخير قتل أقطاي لعلمه

1- سعيد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ص 15.18

2- أحمج مختار العبادي، مرجع سابق، ص ص 124.127.

بنواياه وطمعه في الحكم، فقام باستدعائه الى القلعة بحجة إستشارته فقام مجموعة من أتباع أيبك وقتلوه بالسيف.

وتخلص أيبك من أكبر خطر وقبض على من بقى من المماليك[1] ثم قتل أيبك سنة (655هـ/1257م) في الحمام بسبب أنه قد تغير عن شجرة الدر وتعاظم منذ قتله لأقطاي، وإستبد بالأمور بنفسه وبلغها أنه خطب بنت صاحب الموصل وكان إعتقل جماعة من البحرية، فلما علمت شجرة الدر بذلك قامت بوضع له مملوك كان يعمل عند أقطاي في الحمام إسمه جلكان وكان ذا قوة، فقام بلكم المعز وشجرة الدر قامت تضربه بالقبقاب الى أن مات، ولما علم ولده نور الدين علي ومملوكه سيف الدين قطز هاجموا شجرة الدر مع جماعة من المماليك وقتلوها خنقاً[2].

2- سيف الدين قطز (657-658هـ/1259-1260م):

تم تعيين الأمير سيف الدين قطز في بداية الأمر وصياً على أبن أيبك المنصور علي، والذي كان في الخامسة عشرة من عمرهن وبعدها استطاع قطز إقصاء المنصور عن السلطنة وحل محله بحجة الخطر المغولي[3]، وفي أواخر سنة (657هـ/1259م) تسلطن قطز ولقب بالملك المظفر وقام بإرسال القاضي برهان الدين السنجاري الى الشام للمساعدة في حرب التتار[4]، ويعود أصل قطز الى مماليك المعز أيبك وهو ثالث ملوك المماليك في مصر، ويقال ان قطز بم يكن مرموقاً وانما أخذ من سبايا التتار وقدم على الملك المعز فرقي حتى صار أتابك العساكر بمصر، ثم أصبح سلطان مصر، ومع تعيينه قبض على جماعة من أعيان خشداشيته المعزية وأرسلهم الى السجن، وفي وقته استقامت السلطنة وأنشا عصبة من الأمراء وفوض أمور المملكة الى الظاهر بيبرس وجعله أتابك للعسكر.

1- سعيد عبد الفتاح عاشور/ مرجع سباق، ص 19-20.

2- الدواذري، مصدر سابق، ص ص30 .33.

3- شفيق عواد عبد الكريم عرار، **سكان فلسطين في العهد المملوكي**،رسالة ماجستير في التاريخ العربي الإسلامي، فلسطين، 2004، ص17.

4-الذهبي ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1971،ص21.

وبينما قطز يسير أحوال مملكته وصلت أخبار بأن عسكر هولاكو قد وصلوا الى دمشق وقتل العباء ونهب البلاد[1]، وفي سنة (658هـ/1260م) إستحكم التتار الشام وكتبوا الى مصر كتباً أرسلوه الى الملك مظفر قطز يطلبون منه تسليم الديار المصرية، واستسلامهم لما وصلت هذه المراسلة للملك المظفر جمع الأمراء واستشارهم ونادوا في القاهرة ومصر بالجهاد في سبيل الله وأجمعت العساكر من كل فج وخرجوا طالبين التتار[2].

ووقعت حينها معركة فاصلة في تاريخ المسلمين ضد المغول، وخرج المظفر من مصر واستطاع أن يحصل على إذن الصليبيين بالعبور على بلادهم حتى بلغوا بالفرقة التتارية بقيادة كتبغانوني عند عين جالوت، وباشر قطز القتال بنفسه فانكسر التتار بعد أن قتل كتبغانوني[3]، وكنا اللقاء بينهما تاريخيا فاصلاً تمكن خلالها المسلمون إيقاف زحف التتار الى مصر، وانكسر عسكر التتار وغنم منهم عسكر مصر غنيمة عظيمة، ودخل قطز الشان وكان يوماً مشهوداً فقد تمكن قطز من انتزاع الشام من أولاد بني أيوب، وأصبحت بذلك مملكته تضم مصر وبلاد الشام كلها، وفي طريق عودته الى مصر إتفق جماعة من الأمراء على قتله، فقام الأمير بيبرس البنقداري وضربه بالسيف وقتلوه وكان ذلك سنة (658هـ/1260م) بذلك كانت مدة سلطنته سنة واحدة فقط، وتولى بعده الظاهر بيبرس[4].

3- بيبرس البندقداري (658-676هـ/1260-1278م):

هو الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله قداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، سلطان المماليك في الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية ففي عهده توسعت دولته وشملت ما ذرناه وهو رابع ملوك مصر وأصله من القبجاق وبيع بدمشق وإشتراه الأمير علاء الدين أبوكين الصالحي البندقداري وعليه يسمى بالبندقداري ، بعدها قام بشرائه الصالح نجم الدين أيوب، أعتقه وجعله من مماليكه وكان

1- إبن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، د.ط، النشرات الاسلامية، القاهرة، 1975، ج1، ص303.

2- الداواذري، مصدر سابق، ص47.

3- السيد الباز العريني،**المماليك**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص49.

4- إبن إياس، مصدر سابق ص307.308.

ذافطنة وذكاء وحضر مع الصالح نجم الدين واقعة دمياط[1]، وتولي حكم مصر بعد قتله الملك المظفر وذلك سنة (658هـ/1260م)، وتقلى في بداية الأمر بالملك القاهر أبي الفتوحات ثم إتقلب بالملك الظاهر أبي الفتوحات[2].

قام الظاهر بيبرس بدخول القلعة في القاهرة وذلك بدأت صفحة جديدة من تاريخ دولة المماليك وأثبت أنه المؤسس الحقيقي للدولة ومرسخ أركانها ومثبت دعائمها وهذا دليل على ذكائه السياسي والعسكري[3]، ومع تولي الحكم وفي سنة (659هـ/1261م) وصلت أخبار من الشام أن سنجر الجلي نائبها أظهر العصيان وخرج عن الطاعة، وكان سنجر قد تولى نيابة دمشق منذ كان الملك المنصور على بن أيبك، فقام الملك الظاهر وأمره بالرجوع إلا أنه رفض ذلك، فحدثت الكثير من الإضطرابات في دولة الظاهر وبدأ النواب بالعصيان فبدأ خروب الشامية من قبل هولاكو[4]، ثم إتخذ الظاهر بيبرس سياسة للقضاء على الخطر الخارجي وهما التتار والصليبيين وذلك عن طريق توسيع ملكه فقام من سنة (661هـ/1263م) الى غاية (676هـ/1278م) على الإستياء على المدن الصليبية ومنها قيسارية وأرسوف ووصف وأغار عليه أرمينة الصغري ، وإستولى على يافا وشقيف وتوج أعماله قد أخذ بمهادنة التتار من أجل تسهيل مهمته في الإستيلاء على ممتلكات الصليبيين[5].

وفي سنة (663هـ/1265م) وصلت أخبار على نزول التتار في السيرة، فقام السلطان وجهز عساكره بقيادة الأمير عز الدين والأمير جمال الدين أقوش ، وتوجهوا نحو اليبرة إلا أن المغول هربوا لما علموا بقدوم عساكر المماليك وعادت العساكر الى الديار المصرية[6]، وبسبب الاوضاع الداخلية والخارجية لدولة المغول بعد تولي إبن هولاكو السلطنة أبغا سارع بإرسال الرسل الى السلطان بيبرس يطلب الصلح، إلا أن بيبرس

1- إبن ثغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** تح: مُحَّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج7، ص86.

2- إبن إياس، مصدر سابق، ص308

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص41.

4- إبن إياس ، مصدر سابق، ص312.

5- السيد الباز العربيني، مرجع سابق، ص51.

6- الدواذري، مصدر سابق، ج8، ص107.

رفض ذلك ثم عاود بعد سنوات وطلب الصلح فرفض بيبرس ثانية فقام أبغا بالتحالف مع الصليبيين سنة (666هـ/1268م) إلا أنهم إنهزموا، ثم عاود أبغا الهجوم سنة (669هـ/1271م) على عين تاب وعمق الحارم، فخرج بيبرس والصليبيين سنة (669هـ/1271م) على عين تاب وعمق الحارم، فخرج بيبرس الى حلب وحلت الهزيمة بالمغول[1].

في حين أن عقد صلح مرقب وبيت المقدس، ويتضمن هذا العقد عدم الأكراد وسقوط حصن مرقب وبيت المقدس، ويتضمن هذا العقد عدم الإعتداء بين الطرفين لمدة عشر سنوات[2]، فقام ملك المغول أبغا وأرسل الى أبغا يطلب الصلح بعدما يئس من محاربة المماليك، فقبل بيبرس الصلح هذه المرة، إلا أنه وفي سنة (670هـ/1272م) قام أبغا بحركات عسكرية على حدود الشام، فقام وأرسل بطلب الصلح من بيبرس فرفض، فعاود أبغا الهجوم على البيرة، فأسر بيبرس في تعبئة قوته وعبر الفرات ففر التتار[3]، بهذا زال الخطر التتاري كما زال الخطر الصليبي وإستقرت دولة الطاهر.

وفي سنة (676هـ/1278م) توفي الملك الظاهر بيبرس بسبب إصابته بحمى شديدة[4].

4- الناصر مُحَمَّد إبن قلاوون:

هو تاسع ملوك البحرية، وأطولهم فترة في حكمه تولى عرش السلطنة ثلاثة مرات، الأولى دامت سنة واحدة (676هـ/1278م) الى (694هـ/1296م) والثانية من (698هـ/1300م) الى (708هـ/1310م) والثالثة من (709هـ/1311م) الى (741هـ/1343م) فأما سلطنته الأولى كانت سنة (693هـ/1295م) يويع بعد أخيه الأشرف خليل وكان عمره تسعة سنوات، وتلقب بالملك الناصر ونودي باسمه في القاهرة ودقت له البشائر[5]، وأقام لملك الناصر بالنيابة كيبغا وحسام الدين بالأتابكية، وعلم الدين سنجر بالوزارة وركن الدين سوس بالأستاذرية واستبدوا بالدولة وكان الملك الناصر لا حول له ولاقوة

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص ص43.45

2- السيد الباز العريني، مرجع سابق، ص51.

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص 45.46

4- الدواداري، مصدر سابق، ص209.

5- إبن إياس، مصدر سابق، ص378.

ولا يملك من الأمر شيئاً، فأشار الوزير الشجاعي على الملك الناصر بالقب على جماعة من الأمراء ووصل الخبر الى كيبغا ففزع من الشجاعي وانقطع من دار النيابة متمارضاً بذلك وتردد السلطان لعيادته، وكان كيبغا طموحاً للاستبداد بالملك، فجمع الأمراء ودعاهم لمبايعته فبايعوه وخلع الناصر وجلس كيبغا على عرش السلطنة وتلقب بالعادل في سنة (694هـ/1296م) بذلك دامت سلكنة الناصر الأولى سنة واحدة[1].

أما سلطنته الثانية ففي سنة (698هـ/1300م) وذلك عندما قتل الملك لاشين اجتمع أمراء المماليك وضبطوا القلعة وبعثوا الى الناصر مُحَمَّد بن قلاوون بالكرك يستدعونه ليبايعوه للملك ، وكاتبوا الأمراء بدمشق بما فعلوا ووافقوا فوصل الناصر مُحَمَّد إبن قلاوون إلى مصر وبايعوه[2]، وفي سنة (699هـ/1301م) وصلت أخبار من حلب بأن ملك التتار غازان قد زحف على البلاد ووصل عساكره الى البيرة، فقام الملك الناصر يجمع الأمراء واستشارتهم فوقع الاتفاق على أن يتوجه الأتابكي بيبرس إلى حلب، فخرج بيبرس ومعه العسكر ووصل الى دمشق ثم الى حلب ولحق به السلطان، وتلاقي مع غازان وقتل من الفرقين ملا يحصى عددهم وهزم عسكر السلطان وهرب الملك الناصر.

وفي سنة (702هـ/1304م) دخل غازان إلى حلب فخرج السلطان من القاهرة وتلاقى الفريقان وانتصر فيها الملك الناصر[3].

في سنة (708هـ/1310م) جمع الملك الناصر الأمراء وأخبرهم باختباره بالاقامة في الكرك وخلع نفسه عن السلطنة ثم إجتمع الأمراء على من يولو في السلطنة وترشح الأتابكي بيبرس للسلطنة[4].

وفي سنة (709هـ/1311م) خرج جماعة من أمراء مصر الى الكرك، وحملوا الناصر إلى دمشق فتلاحق به أكثر الأمراء ونزل بالقصر ثم توارد عليه نواب البلاد ، فقدم مصر في رمضان ففر ببيرس ولم يفرسلار بل قام وخرج للقاء الناصر وأظهر الطاعة للملك الناصر فوصل الملك الى القلعة وإستمر في مملكته وهي السلطنة الثالثة وذلك في عيد الفطر من نفس السنة وفتحت في أيامه بلاد كبيرة واشترى المماليك وبالغ في ذلك حتى اشترى واحداً بنحو أربعة آلاف دينار بل أزيد، ويصف لنا الشوكاني الناصر بقوله: (أنه عظيم

1- إبن خلدون، **تاريخ إبن خلدون**، ج1. تح سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، د.ب.ن، د.ت، ج5، ص ص466.467.

2- نفسه ، ص472.

3- إبن إياس، مصدر سابق، ص ص403 . 413.

4- نفسه، ص 421. 422.

المكر طويل الصبر على ما يكره، إذا حاول أمراً لا يتسرع فيه بل يحتاط غاية الإحتياط)، وهذا يدل على قوته وحنكته سياسيته وتوفى سنة (741هـ/1343م) وتسلطن ثمانية من ذرتبه واستمروا الى غاية قيام دولة الجراكسة[1].

المبحث الثالث: سلاطين مماليك الجراكسة

1- الظاهر سيف الدين برقوق:

هو أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوي الجاركسي، وهو جاركسي الأصل من قبيلة "كسا"، إشتراه خوجا عثمان من مدينة قرم فإعتلى السلطنة سنة (784هـ/1382م)[2]، كما كان بسبب الأزمتين اللتان تعرضت إليه المماليك البحرية وهما وباء الطاعون وغارة القبارصة. فبهذا إنتهى ملك بيت قلاوون الألفي ودولة المماليك الترك وقيام محلها دولة الجراكسة فبويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح أمير حاج إبن الأشرف شعبان بن سحين وأشار السراج البلقيني أن يكون لقبه الملك الظاهر ، كما بدأ حكمه بإسترضاء الترك فإختار الأمير سودون الفخري سوهو نائباً للسلطنة في مصر كما قام بإعطاء الاقتطاعات للجراكسة والوظائف الكبيرة، على حساب المماليك الترك خاصة الأشرفية.

فأدى هذا إلى قيام ثورات مثل الطنبغا سنة (784 هـ/1382م) لكنه فشل واكتشف بعد ذلك الملك الظاهر برقوق المؤامرة التي أحيكت ضده من قبل السلطان وأحل محله الخليفة الواثق بالله، وبدأ بإتخاذ سياسة عنيفة ضد الترك مما أدى لقيام ثورة كبيرة كانت سنة (791هـ/1338م) تزعمها منطاش نائب مليطة وزعيم الأشرفية، ويلبغا الناصري نائب حلب، فلما سمع برقوق هذا وتردده لقوة هذه الثورة حاول كسب الرأي العام بإرجاع المتوكل على الله[3].

لكنه لم يفلح في ذلك فقامت عدة ثورات بين الملك الظاهر برقوق ويلبغا الناصري وكانت الهزيمة من نصيب الملك الظاهر وإنسحب من عنده كل الأمراء والمماليك وبقي وحده فإنسحب واختفى[4]، فدخل

1- الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن مع بعد القرن التاسع**، د.ط، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت، ج1، ص237 .238.

2-ابن قعري بردي، مصدر سابق، ج11، ص ص221.223 .

3- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 265.

4- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص ص152. 161.

يلبغا الناصري وأعلن نفسه سلطاناً وقبض على الملك الظاهر ونفاه الى الكرك سنة (792هـ/1389م) ومادام حكم يلبغا أياماً حتى ظهر فساد حكمه وذلك بعد الشقاق بينه وبين خليفة منطاش[1].

فوقع النهب في الحوامل السطانية فتم الإتفاق على عودة الملك الأمير حاج[2]، وبهذا إنتهت دولته الاولى.

أما دولته الثانية بدأت بعد إعتزال الملك الأشرف شعبان حيث بايع أهل الكرك السلطنة لبرقوق، فإلتفت حوله الجراكسة من الشام ومصر فكونوا جيشاً وزحفوا به لدمشق ثم وقع السلطان والخليفة في قبضة برقوق فتنازل حاجي على السلطنة لبرقوق وبهذا ترك برقوق بلاد الشام وعاد الى القاهرة بعدما بايعه الخليفة بالسلطنة وبدأت سلطنته الثانية أي الدولة المملوكية الثانية فنزل السلطان برقوق بالريدانية خاجر القاهرة فخرج له كل الأعيان والعلماء والقضاة وعامة الشعب بالاضافة لليهود والنصارى، فقاموا بإشعال الشموع له وفرح به كل الناس فرحاً كبيراً، من جال عودته فدخل القاهرة وجلس بباتب السلسلة وبايعه الخليفة وأعطاه خلعة السلطنة فلبسها، وهذا في 14 ربيع الأول سنة (792هـ/ 1382 م) ، فقام السلطان الملك الظاهر بالإفراج عن يلبغا الناصري، وعن جماعة من الأمراء كانوا بثغر الاسكندرية.

كما قام بعزل القاضي بدر اليدن بن فضل الله من كتابة السر وأخلع على القاضي علاء الدين علي بن عيسى الكركي وإستقر به كاتب السر بالديار المصرية، وأعاد نجم الدين مُحَمَّد الطنبدي الى حسبة القاهخرة وصرف سراج الدين عمر العجمي، وقدم له الأمراء من الإسكندرية وكانوا سبعة عشر أمير منهم الأتابك يلبغا الناصري، والأمير قراد مرداش الأحمدي وآخرون ووقفوا جميعهم بين يدي الملك الظاهر وأكرمهم فبعدما إستقامت الأمور للملك الظاهر عزل ما عزل وولى ماولى، وفي سنة (793هـ/ 1390 م) بعد رحيل السلطان بعساكره من الريدانية التي نزل بها لإتمام أمر المسجونين بخزانة شمائل الى الريدانية وبعد سفره قتل والي القاهرة إثني عشر أميراً من الأمراء المسجونين باقاهرة، من بينهم أرغون شاه السيخي وألابغا الطمشري وأقبغا السيفي وبزلار الخليلي وآخرون، وفي نفس السنة بعد ذهاب السلطان من حلب لدمشق وعند دخوله قام بقتل الأمير ألابغا العثماني الدوادار الكبير، والأمير سودون باق ولما سمع السلطان من دمشق بأن منطاش أظهر العصيان وأنه ملك مدينة بعلبك ونهب عدة ضياع بعث السلطان بعسكره لقتاله في دمشق

1- إبن إياس، مصدر سابق، ص ص 396. 400.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص162.

فسمع منطاش بذلك وقبل وصول العسكر لدمشق هرب منطاش لحلب فدخل الأمير آيت مش البجاسي لدمشق وملكها من غير قتال، فأسر السلطان برقوق بهذا الخبر[1].

كما أن السلطان برقوق كان من سلبياته أنه سفاكاً للدماء حيث قتل الكثير من الأمراء والمماليك والناس وكان كثير المصادرات للناس وفي شوال (801هـ/ 1398 م) كان إبتداء مرض السلطان فنادى الى اجتماع القضاة والامراء وجميع أرباب الدولة وحلفهم بأن يكون إسمه فرج السلطان من بعده، فحلفوا أن يكون القائم بعده فرج ثم عبد العزيز أخوه ثم إبراهيم أخوهما[2]، ثم مات السلطان الملك الظاهر برقوق بعدما تجاوز الثلاثة والستون من العمر وبعد أن حكم ستة عشر سنة.

فسلطنته الأولى كانت سنة (784هـ/ 1382 م) حتى خلع 6سنوات وثمانية أشهر، أما سلطنته الثانية في (792هـ/ 1389 م) وهي تسع وعشرون سنة وعشرة أشهر[3]سلطانا واتابكيا.

من أعماله قام بإنشاء مدرسة بالقاهرة وعمر جسر على نهر الأردن، كما خطب على منابر برتوريز عندما أخذها قرا مُحَمَّد وكما خطب على منابر الموصل وماردين وسنجار[4] [5].

2- السطان الأشرف سيف الدين برسباي (825-841هـ/1422-1438م):

هو سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري سلطان الديار المصرية، جلس على السلطنة بعد خلع الملك الصالح مُحَمَّد ابن الملك الظاهر ططر سنة (825هـ/1422م)[6]، جركسي الجنس جلبه بعض التجار الى حلب وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم[7]، قام في بداية حكمه بالقضاء على المقاومة

1- سعيد عبد الفاتاح عاشور، مرجع سابق، ص163.
2- ابن ثغري بردي، مصدر سابق، ج12، ص 105.
3- ابن إياس، مصدر سابق، ص526.
4- سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة سيتها وبين الموصل 03 أيام . أنظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج03، ص262.
5- المقريزي، مصدر سابق، ج05، ص ص 285. 445.
6- ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج14، ص242.
7- ابن إياس، مصدر سابق، ج2، ص51.

الرافضة لحكمه كما قطع الهبات عن المماليك السلاطين وأصدر مراسيم لليهود والنصارى، كما غير ما كان سائد بتقبيل الأرض وغيره بتقبيل يده أو ذيل ثوبه فيهذا إنتشر الأمن في البلاد[1].

تميز عهده بالاستقرار وقلة الاضطرابات مما أدى به قيامه بمشروع حربي كبير، وهو غزو مدينة قبرص وإدخالها في نطاق التبعية لسلطنة المماليك في مصر، والسبب أن القبارصة إتخذوا جزيرتهم مركز للوثوب على الموانئ الإسلامية في شرق البحر المتوسط، وتهديد تجارة المسلمين[2]، ومنذ (826هـ/1423م) بدأت الفتن والقتل .

الأمر الذي أدى كان سبب بين برسباب وقرة يلك زعيم التركماني وحاكم سيواس من أجل الحكم، فأرسل السلطان الأشرف جيشاً لمحاصرة الرها فسلمها ابن قرة يلك واشترط أن يخرج سالماً، فدخل جنود السلطان المدينة وسيطروا عليها[3]، ومن جهة أخرى قام بطرس الأول لوزجنان ملك قبرص بحملة صليبية على الاسكندرية سنة (765هـ/1365م) وبعد أن تم الصلح بين جزيرة قبرص وسلطنة المماليك سنة (770هـ/1370م) إلا أن الأعمال العدوانية التي تعرضت لها شواطئ مصر والشام لم تنقطع، فأعد برسباي ثلاثة حملات لغزو قبرص لما فعلوه سنة (825هـ/1422م) فنجح عسكر برسباي في جميعها[4].

وفي سنة (828هـ/ 1425م) نزل برسباي بساحل بولاق ليكتشف عن عمارة المواكب التي أمر بها ثم جاءته الأخبار بنصرة العسكر على صاحب قبرص ونهبوا كل ما فيها وقتلوا الافرنج نحو خمسة آلاف إنسان، وأسر الباقي أما الغزوة الثانية لأجل فتح جزيرة قبرص وأسر ملكها.

وفي سنة (829هـ/1426م) طلع القضاة الأربعة الى السلطان فأخبرهم السلطان أن يخبرو العامة والسوقة بملازمة صلاتهم وعدم التكاسل فيها، مع ابطال المعاملة بالذهب الذي فيه الشخوص من ضرب الإفرنج، فضرب السلطان معاملة جديدة وهي الأشرفية[5]، وفي نفس السنة قامت الحملةا لثانية بقيادة جيوشها البرية الى الأمير تغري بردي المحمودي وقواتها البحرية بقيادة الأمير أينال الجكمي حيث كانت اكثر

1- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص112.
2- سعيد عبد الفتاح عاشور، ص169.
3- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص112.
4- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص170.
5- ابن إياس، مصدر سابق، ص ص95-980.

من مئة سفينة تحمل خمسة آلاف مقاتل، كما استنجد جانوس صاحب قبرص بالإفرنج لنجدته فإنتصر العسكر على الإفرنج رغم قلتهم مقارنة بجيش قبرص التي جاءته المساعدة من الإفرنج، ورأى قائد الحملة ان تغري بردي المحمودي أن يزحف على فيقوسيا عاصمة قبرص فدخلها المماليك ورفعوا على مبانيها الرايات السلطانية، فكان يوما مشهوداً حصر فيه الرسل ابن عثمان ملك الرومن ورسل صاحب تونس ورسل جماعة أمراء من التركمان فان اجتماع هؤلاء من غرائب الاتفاق وأعظم المواكب السلطانية[1]، ثم رسم السلطان يحسب صاحب قبرص وإبنه ومن معه من الإفرنج فإشترط السلطان لطلق سراح جانوس صاحب قبرص أن يوافق على أن تكون قبرص تابعة لسلطنة المماليك بالاضافة لمبلغ مالي مائتي ألف دينار، فوافق جانوس على هذا الشرط وأفرج عنه السلطان برسباي وسمح له بالسفر لجزيرته (830هـ/1427م) وبعدها مباشرة إنتشر وباء الطاعون فمات أغلب الأمراء والمماليك فتجدد على السلطان أمرالإسهال، وإمتنع عليه الدخول وولى السلطنة قبل وفاته لإبنه يوسف ثم مات السلطان الأشرف برسباي سنة (841هـ/1438م)، بعدما حكم في الديار المصرية والبلاد الشامية ستة عشر سنة وثمانية أشهر، وقام بإنشاء العمائر مثل المدرسة العظيمة، وكان الهدوء والاستقرار الذي سادت فترة حكمه من أهم ما ميزه، لكن عانى الناس بسبب كثرة الإحتكارات والضرائب، فكان موته سنة (841هـ/1438م) غير مأسوف عليه[2].

3- الظاهر سيف الدين جقمق (842-857هـ/1438-1453م):

هو سيف أبي السعد مُحَمَّد جقمق العلاء الظاهري، وهو العاشر من ملوك الجراسكة وأولادهم، حيث بويع بالسلطنة وتلقب بالملك الظاهر مثل لقب أستاذه لظاهر برقوق[3]، حكم سنة (842هـ/1438م) وهي أول سلطنة له على مصر وسلطنته كانت بعد خلعه الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباي[4]، أشتهر بإعتداله مقارنة مع برسباي سلطانه السابق، حيث كان من سماته التدين وتحريم المعاصي ومنع شرب الخمر، كما كان محبا للعلماء سمحاً لا يدخر الأموال في خزانته[5].

1- نفسه ، ص ص 95-98

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص173.

3- ابن إياس، مصدر سابق، ص198.

4- إبن تغري بردي، مصدر سابق، ج15، ص 256.257.

5- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص114.

أشتهر عهده بغزو جزيرة رودوس التي كانت مركز هاماً للصلبيين في شرق البحر المتوسط بعد أن استولى عليها فرسان الإسبتارية فإتخذوها قاعدة لنشاطهم واعمالهم، هطا ما جعل المماليك بفكرون بغزوها للقضاء على ذلك الخطر، فقام السلطان العثماني بتحريض السلطان جقمق في مصر لم تنقطع عقب إستيلاء المماليك على قبرص. وإتخذوا جزيرة رودوس عاصمة لهم بعد سقوط أرمينا الصغرى وقبرص، ومع الأسباب التي دفعت جقمق لغزو جزيرة رودوس هو رغبة بحذو حذو برسباي ليحقق لنفسه مجداً وليصرف أنظار المماليك من المنازعات الداخلية، ويوجه طاقاتهم نحو الغزو والجهاد، فأرسل جقمق ثلاثة حملات تراوحت بين (844-847-849هـ/1440-1443-1444هـ) فالأولى هزم فيها جيش جقمق وأنزلت خسائر بالسفن الاسلامية، أما الثانية كانت بقيادة الأمير أينال العلائي قامت بتدمير بعض الحصون الساحلية في رودوس، أما الثالثة هي أكبر الحملات حيث إتجهت صوب بارودوس عاصمة الإسبتارية فحاصروها أربعون يوم كما إستعان الإسبتارية بالعالم المسيحي خاصة برجنديا وقطالونيا ، فعاد امماليك وإنسحبوا لمصر فلم تطل حتى تم الصلح بين الاسبتارية في رودوس السلطان جقمق في مصر، حيث تعهد الاسبتارية بعد العدوان على السفن والمتاجر الإسلامية[1]، بالاضافة الى ثورات قام بها الأمير قرقماش الشعباني الناصر الثانية وأينال الجكمي نائب دمشق فإستطاع السلطان جقمق بالقضاء عليهما بسهولة[2].

تمتعت السلطنة في عهد الملك الظاهر جقمق بتبادل رسائل ودية بين السلطان والعثمانيين وتحسنت التجارة، إلا أن مظالم المماليك إستمرت وتركت أثر في المجتمع المملوكي ومعاملة الأمراء المماليك إستمرت وتركت أثر في المجتمع الملوكي ومعاملة الأمراء المماليك القاسية وعدم معاقبة السلطان لهم وتخوفه منهم، كما تميز بحفاظه على إسلامه وتجنبه الشهوات وكان محباً للعلماء فكان يرافقهم ويعد من أفضل سلاطين المماليك[3].

كما إنتشر وباء الطاعون خاصة سنة (848هـ/1444م) بالديار المصرية فمات عالم كبير جداً مثل الخطيب الواعظ شمس الدين مُحَمَّد الحموي خطيب الجامع الأشرفي، وتوفيت زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق دخوند نفيسة بنت الأمير ناصر الدين بك بن دلغار بالطاعون سنة (853هـ/1449م)، وتوفي

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص179.
2- إبن إياس، مصدر سابق، ص ص198. 209.
3- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص116.

الظاهر جقمق سنة (857هـ/1453م) ولما أحس جقمق باقتراب أجله تنازل على العرش بعد الحكم إستمر خمسة عشر عاماً من (842-857هـ/1438-1453م) وتوفي في نفس السنة وطلب من الخليفة والقضاة وكبار الأمراء بتعيين عثمان إبنه سلطاناً وتوفي في عمر الثمانين[1].

4- الأشرف قايتباي (872-901هـ/1468-1496م):

هو أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري جاركسي الجنس ويعد الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر، حيث بويع بالخلافة بعد خلع الظاهر تمربغا، فكان عمره أربعة وخمسين سنة عند توليه الحكم[2]، ومن أبرز سلاطين المماليك البرجية لأنه حكم تسعة وعشرون سنة، كما أثبت كفاءته في الميدان العسكري لإنتصاره على التركمان والعثمانيين[3]، ولما استقر جلوسه بالقصر أمر بحبس خيربك الدوادار بالركيخاناه والأمير أحمد العيني أمير مجلس[4]، كما واجه جبهة آسيا الصغرى المتمردة على السلطنة المملوكية، وكان مولعاً بالترحل من حلب الى الفرات والى القاهرة والحجاز، وزار الأماكن المقدسة وبيت المقدس[5]، وواجه عدم استقرار الأوضاع على الحدود الشمالية بسبب مصاعب لسلاطين المماليك الجراكسة، كما أدت القلاقل التي ظهرت في تلك الجهات تدخل قوة جديدة هي قوة العثمانين بعد إستيلائهم على القسنطينة (856هـ-1453م)[6]، كما وصفه إبنه إياس "وافر العقل سديد الرأي، عارفاً بأحوال المملكة يضع الأشياء في محلها .... موصوفاً بالشجاعة عارفاً بالفروسية ولا يخرج إقطاع أحد من الجند إلا بحكم وفاته[7].

كانت علاقته مع المماليك ودية حتما وفاة مُحَمَّد الفاتح بدأت تضطرب خصوصاً بعد تولي بايزيد الثاني (885-918هـ/1481-1512م) ولجوء الأمير جم أخو بايزيد إلى قايتباي، وتوترت العلاقات عندما إستولى نائب جدة على هدية مرسلة من الهند الى بايزيد وأرسلها الى قايتباي، فساعد بايزيد "أمير دلغادر

1- إبن ثغري بردي، مصدر سابق، ج15، ص ص506. 542.
2- إبن إياس ، مصدر سابق، ج3، ص03.
3- صفوان طه حسين، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ط1، دار الفكر، 2010، ص183.
4- إبن ثغري بردي، مصدر سابق، ج16، ص396.
5- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص125.
6- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص183.
7- إبن إياس ، مصدر سابق، ص325.

وأمده بقوة عثمانية تمكن من مهاجمة ملطية التابعة للمماليك، فأرسل قايتباي حملة سنة (889هـ/1483م) بقيادة تمراز الشمسي انتصرت على علاء الدين وأحلافه من العثمانيين[1]، كما أن الملك الأشرف كان حريصا على تخليد إسمه بالمنشآت الكثيرة على الرغم من إزدياد التدهور في أحوال البلاد بسبب كثرة الضرائب والأوبئة المجاعات[2]، بالاضافة لجمع الأموال للحرب فماتت زوجة الملك الأشرف قايتباي بسب المرض وابنته ايضا ماتت فترتب على هذا الوباء القحط الشديد وانتشار طاعون المواشي ثم ساءت حالة السلطان قايتباي بعدما ما تجاوز الثمانين سنة، فتنازل عن السلطنة لإبنه[3]، وكانت مدة سلطنة بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرون سنة واربعة أشهر أي بين (872-901هـ/1486-1468م) ومات بعمر الرابعة والثمانين سنة، بسبب علة الديلة وإعتراء علة البطن وإمتنع عن الأكل حتى مات[4].

كما انتهى عهد سلاطين الجراكسة بحكم السلطان طومان باي الثاني، بعد حكم لم يدم عاماً واحداً وذلك من (922-923هـ/1515-1517م) وذلك بعد إنتصار العثمانيين على قانصوه الغوري وقلته لهم، وبعد زحفهم لمصر وضمهم للشام، بذلك فرطومان باي الثاني، وأخذ محله سليم الأول فمنه كان ابتداء الدولة العثمانية[5].

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص183.

2- إبن إياس، مصدر سابق، ج3، ص325.

3- صفوان طه حسين، مرجع سابق، ص 262. 263.

4- قاسم عبد قاسم، **عصر سلاطين المماليك**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994، ص153.

5-صفوان طه حسن، مرجع سابق، ص274.

من أجل استقرار دولة المماليك، عهد حاكمها على تثبيت جهاز إداري ضخم، لتنظيم سير شؤون الدولة، وإعتمد هذا الجانب الإداري على مجموعة من الدواوين الكبيرة لإدارة مرافق الدولة وكانت هذه الدواوين حكومية وهي عماد الجهاز الإداري والدولة المملوكية.

المبحث الأول: ديوان الجيش

1- جيش الديوان وملابسهم:

يعتبر هذا الديوان أهم الدواوين المملوكية، لأن له علاقة النشأة العسكرية، وإشتهر الجيش المملوكي بالفروسية وركوب الخيل واستخدام الأسلحة[1]، وتتمتع بأهمية لدى الدولة والتي هي دولة ذات طابع حربي، إعتمدت في قيادتها وبقائها على فكرة الحرب والقتال[2]، لذلك سلاطين المماليك يكثرون من شراء المماليك، فيقال أنه بلغ عدد مماليك المنصور قلاوون سبعة آلاف مملوك، ويقال إثني عشر ألفا، وفي سنة (780هـ/1380م) في عهد السلطان الظاهر برقوق قام بمحو المماليك الأشرية، وأنشأ لنفسه دولة من المماليك الجراكسة وبلغت عدتهم أربعة آلاف، ولما قام إبنه بعده الناصر فروج إفترقوا واختلفوا[3]، وكان الجيش المملوكي يتكون من طبقتين هما الأمراء والأجناد.

أ: **الأمراء**: كانوا على أربعة طبقات.

***الطبقة الأولى**: أمراء المئين مقدموا الألوف وعدة كل منهم مائة فارس وهي أعلى مراتب الأمراء.

***الطبقة الثانية**: أمراء الطبلخاناه وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارساً، وهذه الطبقة لا يوجد بها ضبط لعدة أمرائها وفيها الكشاف وأكابر الولاة.

* **الطبقة الثالثة**: وهي أمراء العشرات وعدة كل منهم عشرة فوارس، وهي أيضا ليس ضبط في في العدد، وفيها يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف.

1- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص212.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص371.

3- المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.ن، ج1، ص95.

* **الطبقة الرابعة:** طبقة أمراء الخمسات وهم أقل من القليل وهم من والأمراء[1].

ب: الأجناد: وهم على طبقتين:

* **الطبقة الأولى:** المماليك السلطانية وهم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأقربهم الى السلطان منزلة[2]، فيما يحدثنا المقريزي على أن المماليك السلطانية على ثلاثة: الظاهرية – الناصرية – المؤيدية. وعندما تربع على العرش برسباي صارت المماليك سبع طوائف: ظاهرية- ناصرية- مؤيدية- نوروزية- حكمية- ططرية- أشرفية[3].

* **الطبقة الثانية:** أجناد الحلقة وهم مماليط السلاطين والأمراء السابقين وأولادهم[4]، وكان لكل أربعين جندي منهم رئيس لا حكم له فيهم إلا إذا خرجوا للقتال فيكون عليه ترتيبهم في مواقفهم، وليس له الحق في أن يخرج أحد من الخدمة إلا بإذن من السلطان أو نائبه[5]، ويشرف هذا الديوان على جمع وحفظ الأوراق والأسماء والمهام وتسجيل المساحات والاقتطاعات وأنواعها ونفقة هؤلاء الجنود[6]، ففيه تحفظ الأوراق الخاصة بجميع الجنود والأمراء، وبخصوص أجناد الأمراء ويتم إدراج أجناد كل امير ديوان الجيش. وقد تغير النظام زمن القلقشندي وصار لكل أمير في ديوان الجيش، ول يستطيع الأمير أن يدخل في خدمته مماليك جدد إلا إذا مات أو قتل أو طرد أحد أجناده من الخدمة، ومن اختصاصاته للمسائل المتعلقة بالاقتطاعات ففيه سجل خاص لكل اقتطاع يمنحه السلطان[7].

كان لهولاء الجنود لبس خاص بهم، فقد تطورت ملابس الأمراء والجند يلبسونه كلوته صفراء على رؤوسهم ويجعلوا شعورهم ضفائر وشدوا أوساطهم بأحزمة من قطن، وراتدوا أقبية بيضاء ضيقة الأكمام وفقها كمرين يستخدمه الفارس في حفظ مؤونته وأداوته، وخفافهم مصنوعة من جلد بلغاري أسود

1-القلقشندي، **صبح الأعشى**، د.ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج4، ص15 . 16.
2- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص191.
3- المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص95.
4- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ج1، ص95.
5- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص192.
6- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص216.
7- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص372.

وجعلوا فوقه سقماناً وهو حق آخر وبمجيء السلطان قلاوون عدل الزي الملكي فأبطل لبس الأقبية وأمر بلبس الشاشات، وقد إزدادت الملابس جمالاً في عهد السلطان خليل والسلطان الناصر وإتخذ الخبر الكلوته الحمراء الصغيرة، كما ستخدم الناصر العمائم مع قص الضفائر فيما اختلف ملابسهم في الصيف عن الشتاء، وغلب على جميع قماشر اللون الأبيض وحتى خفافهم[1]،ومن الأسلحة التي كانوا يستعملونها السيف والرمح والقوس والنشاب والمجانيق والزحافات والقطاطيع التي يهدمون بها اسوار القلاع[2].

2- موظفو ورتب الديوان:

يقوم برئاسة ديوان الجيش موظف كبير يدعى ناظر الجيش وهو من أهم وظائف الدولة ويتولى أمر الإقتطاعات في سجل خاص، ويستشير السلطان في شؤونها، وبعهد إليه حراسة السلطان أثناء سفره أو حين خرجوه من الموكب[3]، كما كان يقوم بمساعتد بعض كبار الموظفين وهم:

- **صاحب ديوان الجيش:** ويقوم بالنيابة عن الناظر في تصريف شؤون الديوان.

- **مستوفي الجيش**[4]: ويقوم بتحديد الرواتب التي تصرف للجند وتسجليها في كشوف خاصة، بمساعدة مستوفي الاقتطاعات ومستوفي الرزق والإشراف على مرتبات الأجناد وأرزاقهم.

- ويشترط فيهم الأمانة التامة والكفاءة المطلقة[5].

ولم تكن هناك مرتبات ثابتة للأمراء والأجناد بل كان هناك اقطاعات يمنحها السلطان لهم، وعند وفاتهم كان يكافئ السلطان أمراء وجنود الأوفياء بأن ينزل لورثتهم عن حقه في اقتطاعاته، كما كان للاجناد والأمراء نصيب معين من الغنائم وكان لهم رواتب أخرى متمثلة في اللحم والتوابل والزبت وكانت هذه الرواتب تصرف في بعض الأحيان لمن لا اقتطاع له من أولاد الأمراء. كما يحصل الأمير

1- السيد الباز العريني، مرجع سابق، ص 223. 224.

2- حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص192.

3- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص217.

4- المستوفي: هو كاتب يكون صاحب مجلس في الديوان بطالب ما يجبار رفعه من حساب وما يجب استخراجه من مال، أنظر ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص304.

5- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص372.

أو الجندي على أنواع مختلفة من النفقات والرواتب في اوقات معينة، فمنها الجامكية وهي الراتب الشهري الذي يصرفف للماليك السلطانية، والنفقة تمنح في أوقات غير منظمة وعلى الأخص قبيل أن تسير الحملات الحربية، فالسلطان قلاوون حين خرج الى البلاد الشامية لمحاربة المغول سنة (679هـ-1279م) أنفق على كل امير ألف دينار وكل جندي خمسمائة درهم[1].

- الاقتطاعات في ديوان الجيش:

كانت دولة المماليك دول اقتطاعية، فقسمت أراضيها الى أربعة وعشرين قيراطاً وكان الإقطاع[2] أمراً شخصيا لا دخل لحقوق الملكية أو الأحكام الوراثية فيه، وكان صاحب يسمى المقطع ويحل محل السلطان في أن يتمتع بغلات الإقطاع، على أنه كان غالبا السلطان هو الذي يقوم بنفسه بتوزيع الاقطاعات، وإذا تقدم إليه مملوك سأله عن إسمه وأصل وتاريخ قدومه الى الديار المصرية وأستاذه الذي إشتراه وعن حياته التعليمية، ويقوم السلطان بأمر ناظر الجيش بأن يكتب له ورقة تسمى المثال، ويحتاج ناظر الديوان الى ان ينظم أسماء أرباب الاقطاعات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم، ويضع لذلك جريدة يثبت فيها أسمائهم ويذكر الاسم وبداية جنديته وذكر السنة، وذلك لإستقبال ما يكتب من مغل السنة الخارجية والى من انتقل إليه الاقتطاع وتسمى هذه الجريدة "الجريدة الجيشية، وهي التي تضم كشوف تنظيم الأعمال والجداول ودخلها خرجها وكان لكل من أجناد الحلقة والمماليك السلطانية جريدة يذكر فيها اسم مقدمهم وما تقدم وما تأخر من مراتبهم ويحتاج الى مراجعة هذه الجرائد لحفظ أسماء الجند ونواحي اقتطاعاتهم[3].

شملت اقتطاعات الأمراء والجند الراضي والمدن والقرى واختلفت هذه الاقطاعات في قدرة عبرة الأمير أو الجندي المقطع عليها، فبلغ أحياناً عشرة بلاد وأحياناً بلداً واحد وغير ذلك يقطع للماليك السلطانية، واجناد الحلقة تجمع الجماعة منهم في بلد واحد ويدخل المقطعون وملتزمي خيل البردي في طبقة اجناد الحلقة، وتوجد بهذا الديوان أوراق رسمية تدور حول أمر الإقطاع او اعلان خروجه عن

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص373.

2- السيد الباز العريني، مرجع سابق، ص ص185. 190

3- النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: علي بوملحم، د.ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ن، ص ص151. 158

إقطاع او طلب إعادته الى اقطاع، أما النزل ويسمى المقايضة أو الاشتراك في الاقطاع[1]، كما ظهر العصر المملوكي بما يسمى بالروك وهو عملية مسح الأراضي الزراعية وتعديل الخراج وفك الزمام وكان أول روك للماليك هو الروك الحسامي نسبة الى السلطان حسام الدين لا جين ي سنة (697هـ/1297م) وسبب ظهوره أن الامراء استبدوا باقطاعات الأجناد، وبهذا الروك أبطلب تلك الاقطاعات وعمل حسام الدين على تقسيم البلاد تقسيماً جديداً وبمجيء الناصر مُحَّد ابن قلاوون أصبح للمالي كروك ثاني اسمه الروك الناصري واستخدمه في الحد من نفوذ بعض الأمراء الذين يتخوف منهم، وكان هذا الروك في خدمة السياسة[2] وكانت مقادير اقطاع الروك الناصري للجيوش مختلفة على حسب الرتب[3].

1- السيد الباز العريني، مرجع سابق، ص ص185. 190

2- كمال موجاني، عبد الله أحمد خلف، **دور الاقطاع في عصر المماليك البحرية**، مجلة الدراسات الاسلامية والفكر، عدد 01، مج01، أفريل 2015.

3- أنظر الملحق رقم 03.

المبحث الثاني: ديوان الانشاء

الديوان في الدولة:

هو من أهم الدواوين في الدولة وله قاعة خاصة في قلعة الجبل تسمى بقاعة الانشاء، ورئيسه يكون من رجال القلعة من المصريين ، ويلقب بصاحب الانشاء[1]، يتلقى الديوان المكاتبات الواردة من انحاء الولايات والمماليك التي ترتبط علاقتها مع مصر سياسياً ويقوم بتحرير المراسلات السلطانية، اهتم سلاطين المماليك بهذا الديوان منذ أن حكم الظاهر بيبرس وذلك لكثرة المعاهدات التي عقدها مع الملوك والأمراء والمعاصرين له[2]، واستقرت حالة هذا الديوان في عقد الناصر مُحَمَّد بن قلاوون، فيما تعرض للإهمال بأن بيعت محتوياته بالقناطير في عهد الظاهر برقوق[3]، والرسائل التي صدرت من هذا الديوان باسم السلطان اختلفت في نوع الورق وحجمه ونوع الخط، وذلك باختلاف مكانة الشخص المرسل إليه وخصوصاً أن عصر المماليك عرف برعايته لقواعد البروتوكول والتمسك بها، فلكل موظف أو أمير أو حاكم تقليد أو أسلوب خاص يخاطب به حسب درجته ورتبته[4].

– موظفو الديوان:

تلقب صاحب ديوان الانشاء في عصر المماليك بناظر الانشاء وأضيف له ألقاب أخرى تشير الى خطوة مهمته وذلك بوصفه الأمين على أسرار الدولة ودخائل السلطان حتى السلاطين كانوا يطلعونه على مالا يطلعون عليه أبنائهم والأمراء والوزراء وغيرهم ويقال له كاتب السر أو كاتم السر، ويكون صاحب الديوان فصيح الألفاظ فصيح اللسان أصيلاً وقوراً حليماً.

توسعت أعمال صاحب الديوان فكان عليه إبلاغ السلطان عما يصله من الاخبار الداخلي، ويحضر اليمين التي يؤديها الولاة والحكام والأمراء عند تعيينهم في مناصبهم، ويوقم بكتابة المراسيم الخاصة بتولي هذه المناصب .

1- مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص217.

2- زينب جمال، **أسر المماليك**، مجلة أبناء الوطن، عدد35، ص13، ص34.

3- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابق، ص134.

4- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص373.

وكان لصاحب ديوان الإنشاء أعوان كان لابد من وجودهم أعوان لابد من وجودهم لصعوبة المهمات وهم:

أ. نائب كاتب السر: وهو الذي ينوب عن ناظر الديوان في الرد على المكاتبات الواردة في حالة تغيب الناظر أو تخلفه لحضور مجلس السلطان.

ب. كتاب الدست الشريف: وهم كتاب ديوان الإنشاء والذين أطلق عليهم اسم الموقعين لأنهم يجلسون مع رئيسهم كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل ويوقعون لأنهم كانوا يجسلون مع رئيسهم كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل ويوقعون على الشكاوي المرفوعة وتوزعت أعمال الديوان على كتاب الدست، فكان منهم من يوقم بصياغة الرسائل الموجهة الى ملوك المسلمين وأمرائهم ويشترط في هاته الفئة الدراية بألقاب الملوك، ومنهم من يقوم بصياغة المكتاتبات الموجهة الى ملوك الفرنجة ، او ترجمة الرسائل الموجهة من هؤلاء الملوك الى السلطان، ويشترط فيهم العلم باللغات الأجنبية لتسهيل التواصل معهم ومنهم من أشتهر بحسن خطه وعلى انواع[1]، وارتبط بكاتب السر في عمله موظف كبير اسمه الدوادار[2].

ج- كتاب الدرج: مهمتهم الاطلاع على الملاحظات أو التأشيرات التي يدونها كاتب السر أو كاتب الدست أو نائب السلطان أو الوزير على المكاتبات والمراسيم والمنشورات والرد عليها وفق التأشيرات[3].

وكان ترتيب الموظفين في ديوان الانشاء في العصر المملوكي كالتالي:

1- صاحب الديوان أو كاتب السر أو كاتم السر، وقد تعدد كتاب السر في العصر المملوكي وتجاوز عددهم العشرين.

2- كتّاب الدست.

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص 373 .374.

2- الدوادار : هو الذي مهمته تبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم البريد، أنظر إبن عماني، مصدر سابق، ص19.

3- زينب جمال، مرجع سابق، ص34.

3- كتّاب الدرج وسموا بهذا الإسم لكتابتهم الكتب بأنواعها في دروج الورق وهذه الدروج مكونة من عدة أوصال وبلغ عددهم في العصر المملوكي مائة وثلاثون كاتباً.

4- الأعوان الذين يقومون بجمع القصص والمكاتبات[1].

-كان كتاب ديوان الإنشاء يتكونون من سبعة كتاب كل منهم له عمل خاص به وهم على النحو التالي:

1- كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات قاله عند القلقشندي: (يجب أن يكون كاملا في الصفات متوفياً لشروط الكتابة عارفاً للفنون مشتملاً على التقدم في الفصاحة والبلاغة...)

2- كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه، وقد شط فيه كما شرط للأول سابق الذكر وهو الذي ينشيء المكاتبات بنفسه عن الملك وعليه أن يكون على دين الملك ومذهبه.

3- كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وكبرائها وولاتها والنواب والقضاة ويقول القلقشندي على مهمه هذا الكاتب: (انها جليلة الخطر عالية القدر)، وأن يكون الكاتب أميناً للأسرار نزيهاً.

4- كاتب يكتب المناشير والكتب والنسخ، ويقول فيها الفلقشندي: (منزلة لاحقة بالمنزلة التي قبلها وكأنها جزء منها) ويكون كاتبها مأموناً كتوماً للسر مأدبا ويكون حسن الخط.

5- كاتب يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج الى حسن الخط لا يكون في وقته أحسن منه، لتصدر الكتب عن الملك بألفاظ راقية وخذ واضح وذلك تعظيماً له.

6- كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان، وجب استخدام متولى الديوان لتصفح الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات في الديوان وأن يكون حافظاً لكتاب الله عارفاً بالنحو والبلاغة ذكياً.

7- كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمنة لمتعلقات الديوان وان يكون الكاتب مامونا صبوراً على الشعب[2].

اضافة الى الكاتب يجب الاستعانة بخازن وحاجب:

1- فتيحة عبد الفتاح، مرجع سابف، ص136.

2- القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص ص 130. 133.

– فالخازن ينبغي أن يكون فطن مأموناً نزيهاً فزمام الديوان بيده، ويكون ملازماً في الحضور مع الكاتب، ويجمع كل عمل من اعمال المملكة من المكاتبات الواردة وغيها، ويجعل عليها بطاقة على كل عمل ثم يجمعها ويجعل عليها بطاقة واحدة ليسهل استخراج ما أراد أن يستخرجه وقت الضرورة.

وأما بالنسبة لحاجب الديوان فعلى صاحب الديوان أن يعين على ديوانه حاجباً لا يدع أحداً من الدخول إلى الديوان فعلى صاحب الديوان أن يعين على ديوانه حاجباً لا يدع أحداً من الدخول الى الديوان لجمعه أسرار السلطان[1].

البريد:

كانت هناك إدارة لها الأهمية الكبيرة في مصر خلال العصر المملوكي وكانت لها صلة بديوان الإنشاء وكان البريد هو أحد إدارات هذا الديوان، فقد كان واسطة اتصال الدولة مع انيابتها في الشام وغيرها من الأقاليم المملوكية، وكان البريد على نوعين بري وجوي.

البريد البري كان بواسطة الخيل وله عدة طرق تتفرع من القلعة الى باقي مدن الديار المصرية والشامية، وأقيمت محطات متقاربة تزود البريدين وخيولهم بما يحتاجون إليه من طعام وعلف للخيول وحتى المأوى.

أما البريد الجوي كان اول من نظمه السلطان الظاهر بيبرس فإستعان بالحمام الزاجل وتم وضع أبراجه في القلعة واتهم بأن تكون الرسائل التي يحملها الحمام ن نوع ورق خاص وخفيف ليسهل على الحمام حمله وتكون الرسالة مختصرة وتم إنشاء أبراج على طول الطريق للحمام على شكل محطات من اجل راحة الحمام[2].

أصبح البريد في عهد الظاهر بيبرس يرد الى مصر مرتين في الأسبوع وكان يشرف على إدارته صاحب ديوان البريد وعمله حفظ ألواح البريد بالجيوان، وكانت هذه الألواح من الفضة وكان البريدي يعلق هذه الألواح في ذهابه وإيابه بالرسالة[3]، وكانت هذه الألواح منقوض عليها نقشاً مزدوجاً تمثل

1- القلقشندي، مصدر سابق، ص 136 .137.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص375.

3- حسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص216.

في عبارة (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ضرب بالقاهرة المحروسة) هذا في وجه والوجه الآخر عليه عبارة (عز لمولانا السلطان الملك الفلاني- يذكر إسم السلطان في ذلك الوقت- فلان الدنيا والدين، سلطان الاسلام والمسلمين، فلان إبني مولانا السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان خلد الله ملكه)، وبالنسبة لدمشق وحلب وغيرهما من المماليك الشامية يتم كتابة الألواح فيها بنفس الطريقة ، فقط يتم تغيير ضرب اللوح فإن كان بدمشق كتب (ضرب بالشام) وإن كان في حلب كتب (ضرب بحلب المحروسة) وكذلك باقي المماليك[1].

1- القلقشندي، مصدر سابق، ص 371. 372.

المبحث الثالث: ديوان الأحباس والنظر والمظالم

ديوان الأحباس:

هو دائرة أوقاف يشرف صاحبها على المساجد والجوامع والربط والزوايا والعقارات المحبوسة عليها، ويقوم برعاية المؤسسات الخيرية والدينية كما يشرف على الأراضي والعقارات الموقوفة عليها، والاحسان للفقراء والمعوزين وطلبة العلم تحت ما يسمى الإشراف على شؤون الدينية والخيرية[1].

لم يكن هذا الديوان ذو الأهمية الكبيرة في العصر الأيوبي وكانت نشأته في العصر المملوكي ويقابله حليا وزارة الأوقاف[2]، وكانت شؤون الأحباس في العصر الأيوبي من اختصاص القاضي، لكن المماليك قسموا هذه الشؤون الى ثلاثة أقسام وهي كالتالي[3]:

1- القسم الأول الأحباس: ويتولاها الدوادار السلطاني وهو احد الأمراء ومعه ناظر الأحباس، وفي هذا القسم ديوان به عدة كتاب ويحتوى على أراضي أعمال مصر على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها.

2-القسم الثاني الأوقاف الحكمية: هي بمصر والقاهرة ويتولى هذه الجهة قاضي القضاة الشافعية، وفيها ما يجب من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والأسرى، ويقال لمن يتولى هذه الجهة بناظر الاوقاف فتارة ينفرد بأوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أي نواب القاضي، وتارة أخرة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الأعيان، ولكل من أواف البلدين ديوان فيه كتاب.

3- القسم الثالث الأوقاف الأهلية: والتي هي لها ناظر خاص إما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو قاضي وفي هذه الجهة المدارس والجوامع والخوانك وتوجد كثرة بناء المدارس والجوامع، وأصبحوا يفردون أراضي من أعمال مصر والشامات ويجعلونها وقفاً على مصارف كما يريدون، واهتم السلطان برقوق باسترجاع هذه البلاد[4].

1- مفيد الزيدي، مرجع سابق ، ص218.

2- زينب جمال، مرجع سابق ، ص34.

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق ، ص376.

4- المقريزي، مصدر سابق ، ج2، ص295. 296.

لم تقتصر الاوقاف في العصر المملوكي على الفنادق والخانات والاراضي الزراعية، وانما إتسعت وشملت حتى معاصر الزيت والقصب والحمامات والطواحين والأفران وغيرها....الخ[1].

– ديوان النظر:

هو أهم دواوين بين المال وأقدرهم شأناً، فيه تثبيت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكل ديوان من دواوين المال هو فرع من هذا الديوان، وإليه يرفع حسابه وله يرجع أمر الاستثمار الذي يشمل على أرزاق ذوي الأقلام وغيرهم[2].

وهذا الديوان يشبه وزارة المالية حالياً، كما اهتم هذا الديوان بالاشراف على إيرادات ومصروفات الدولة وصرف مرتبات الموظفين، ويقع مقر الديوان في قلعة الجبل، ويسمى بيت المال أو ديوان نظر الدولة، ويشرف على هذا الديوان موظف كبير أطلق عليه اسم ناظر المال أو ناظر النظارة أو صاحب الشريف أو ناظر الدواوين[3]، وهو موظف يساعد الوزير في تصريف شؤون الدولة[4]، وصاحب هذا الديوان هو من أكبر موظفي الدولة وأهمهم عملاً وأعلاهم قدراً، وقام بمساعدته جملة من الموظفين هم مستوفي الصحبة وهو بمثابة وكيل الديوان وشهود بيت المال ومستوفي بيت المال والكتبة[5]، وناظر الخزانة وظيفته مباشرة الخزانة وضبط ما يصل من الاموال والأصناف ويميز ما يصل من الهدايا، ويضيف كل نوع الى صنفه ويضبط ما يصل الى الخزانة هدايا الملوك وما يصل من أقمشة[6].

وكما ذكرنا ان الديوان يشرف على مرتبات الموظفين، وكان جانب من هذه المرتبات والأرزاق يصرف نقداً في حين يصرف الجانب الآخر عيناً من غلات ولحوم وتوابل وسكر وشمع عدا الكسوة،

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق ، ص 376.

2- المقريزي، مصدر سابق ،ص 224.

3- ناظر الدواوين، وهو المشرف على الديوان ومن لوازمه أن يكون عمله محوطاً بضبطه محفوظاً بحظه، أنظر ابن مماتي، مصدر سابق ، ص298.

4- مفيد الزيدي، مرجع سابق ، ص218.

5- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق ، ص337.

6- النويري، مصدر سابق ، ص ص 159. 161.

ومن الواضح أن أصنافاً من الخبز واللحم كانت توزع على الموظفين والمستحقين يومياً، في حين كان السكر والزيت والشمع توزع شهرياً أما الكسوة فكانت سنوية[1].

– ديوان النظر في المظالم:

يشرف هذا الديوان على شؤون القضاء والمظالم واهتم سلاطين المماليك بهذا الجانب واعتنوا به، وأدخل الظاهر بيبرس النظام القضائي ليقف في وجه قاضي قضاة الشافعية وعدم تركه يتحكم وحده في جميع الشؤون القضائية، فقام بتعين أربعة من القضاة يمثلون المذاهب الأربعة، وكان قاضي القضاة الشافعية له الحق في عزل بعض موظفي الدولة وهو أعلى مرتبة ويأتي بعده قضاة المذاهب الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي[2]، وترك السلطان قاضي قضاة الشافعية على أحوال اليتامي بعدما قام بتعين قضاة لكل مذهب والإشراف على الأوقاف والقضايا الخاصة وبيت المال.

من ناحية أخرى كان هناك قضاة خاصين بالجيش المماليكي وهم قضاة العسكر وجل اهتمامهم منصب نحو شؤون الجند وليس لهم ولاية على غيرهم، ويفصولن ي القضايا القائمة بين العسكر والمدنيين، وكان قضاة العسكر ثلاثة يمثلون المذاهب الشافعي والحنفي والمالكي وفي بعض الأحيان يوجد قاضي حنبلي، ومن الواضح أن القضاة قاموا في ذلك الوقت بدور هام في المجتمع، وكثرة اختصاصاتهم وتنوع مسؤولياتهم التي لم تقف عند حد الفصل في قضايا حول الشخصية وانما امتدت الى جميع أنواع القضايا من مدنية وجنائية هذا فضلا عن إمامة المسلمين ونظر الوصايا والأحباس وشؤون اليتامى والمحجوز عليهم والتدريس بالمدارس[3]، وارتقى نظام القضاء في عهد المماليك وكان بيبرس اول من تولى النظر في المظالم وأقام لذلك دار عدل التي كان يتولى رئاستها بنفسه ويجلس بها للفصل في القضايا ويحيط به القضاة الأربعة وكبار موظفي المالية والإداريين وصاحب ديوان الإنشاء وأيضاً قاضي العسكر[4]، والموظفون هم كاتب السر وناظر الحسبة ويقف وراء الملك مماليك صغار من

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق ، ص376

2- مفيد الزيدي، مرجع سابق ، ص219.

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق ، ص 378. 379.

4- حسن ابراهيم حسين، مرجع سابق، ص 290. 291.

السلحدارية: المتحدثون في السلاح وما يستعمل بها وما يقدم إليها، أنظر المقريزي، مصدر سابق، ص222.

السلحدارية والجمدارية وأمراء المشورة كما نجد الحجاب والدوادارية، وفي العادة لا ترفع الشكاوي الى السلطان إلا بعد أن يرفع أمره الى القضاة وإذا لم ينصفوه ذهب إلى السلطان.

أما المجلس التي كان يعقدها القضاة فكانت تعقد أحياناً في دور القضاء إذا وجدت ، وكان يساعد القاضي عدة موظفين هم:

الجلواز الذي يقوم بحفظ النظام أثناء انعقاد المحكمة ويقوم بتقديم المتقاضين والحاجب ومهمته الوقوف أمام الباب واستئذانه في دخول الزائرين عليه، والأعوان يقومون بإحضار الخصوم الى المحكمة، وبسبب ازدياد عدد المتقاضين وجب على القاضي الاستعانة بالعدول الذين يقدمون شهاداتهم للقاضي ويراجعون السجلات والعقود كما كان يوجد ترجماني يقوم بالترجمة للقاضي والمتقاضين إذا كانوا لا يعرفون العربية[1]، ولما اعتلى الملك الناصر مُحَمَّد ابن قلاوون قام ببناء الإيوان وواضب على الجلوس للنظر في المظالم يوصي الاثنين والخميس وصار يعمل فيه الحكومات، ولما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة عقد لنفسه مجلساً بالاصطبل السلطاني من قلعة الجبل وواضب على ذلك في يومي الأحد والأربعاء ثم حول ذلك الى يومي الثلاثاء والسبت وأضاف يوم الجمعة بعد العصر، ولما تولى إبنه الملك الناصر فروج اقتدى بأبيه وجلس في الإصطبل ، ولما تسلطن المؤيد شيخ جلس على النظر في المظالم، وعرف النظر في الديار المصرية بحكم السياسة.[2]

– الجمدارية: هم الذين يمشون في المواكب السلطانية عند يمين السلطان حاملين دبوس له رأس ضخم مذهب، أنظر، مفيد الزيدي، مرجع سابق ، ص214.

– مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص220.

1– سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص379.

2– المقرزي، مصدر سابق، ج2، ص208.

المبحث الرابع: دواوين ثانوية:

1- ديوان الطواحين:

يشرف صاحب هذا الديوان على طحن الغلال السلطانية[1]. ويسمى ناظر الطواحين[2].

2- ديوان الأهراء:

ديوان يهتم بشؤون الغلال السلطانية التي يتكلم عنها الوزير، مهمتها الإشراف على ما يصل إليها من النواحي من الغلال وغيرها وما يصرف منها على الاصطبلات والمناخات السلطانية وغير ذلك.

3- ديوان الاصطبلات:

يعمل هذا الديوان على الإشراف في شؤون إصطبلات السلطان، وأنواع البغال والخيول والدواب و الجمال السلطانية وعليقها، وما لها من الاستعمالات و كل ما يبتاع لها او يباع منها، و الاهتمام بشؤون المستخدمين وغير ذلك[3].

ويسمى صاحب هذا الديوان بنظر الإصطبلات، وأول من استجد هذه الوظيفة الملك الناصر مُحَمَّد بن قلاوون، و كان أبوه يحب خيول برقة أكثر من خيل العرب و لا يعرف عنه أنه اشترى فرسا أكثر من خمسة ألاف درهم، وكان أبوه فقد كان شغوفا باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا آل فضل وغيرهم، واعتنى السلطان بالخيول، وكان يتفقدها بنفسه و إذا أصيبت منها فرس أو كبر سنه بعث به إلى الحشار.

وأما كتاب الاصطبل فكان عملها تأريخ تاريخ نزول الخيول واسم الحصان وحجرته[4].

1 سعيد عبد الفتاح عاشور: مصدر سابق، ص 378.

2 القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص33.

3 نفسه، ص32.

4 المقريزي: مصدر سابق، ج2، ص 224-225.

4- ديوان المواريث الحشرية:

مهمته الإشراف على شؤون من يموت وليس له وارث، ويدعى صاحب الديوان بنظر المواريث الحشرية[1]، وهذا الديوان عل قسمين : ما هو حاضر في الديار المصرية و ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية.

أما ما هو حاضر في الديار المصرية فله ناظر يولي من قبل السلطان ومعا شادّ[2] وكاتب و مشارف وشهود[3]، وهي مضافة إلى نظر الوزارة و متحصلها يحمل إلى بيت المال، وكاتب هذا الديوان يكتب كل يوم تعريفا بمن يموت بمصر والقاهرة، وتبعث منه نسخة لديوان الوزارة ولنظر الدواوين ومستوفى الدولة.

وما هو خارج عن الديار المصرية له مباشرون و يحملونه ويحملون ما يتحصل منها إلى الديوان السلطاني[4].

5- ديوان المرتجعات:

يدعى صاحب هذا الديوان بنظر المرتجعات ومهمته الإشراف غلى ما يرجع ممن يموت من الأمراء، وقد رفضت هذه الوظيفة وتعطلت ولايتها و ما أمر المرتجع موقوفا على مستوفى المرتجع، وهو الذي يتحكم في القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان وهو المعبر عنه بديوان السلطان[5].

-سارت الدواوين الحكومية في عصر المماليك على نسق واحد من حيث التنظيم، وكان هذا التنظيم غاية في الدقة، ومظهر من مظاهر الفن الحضاري الذي وصلت إليه هذه الدولة، وذلك لتحقيق الاستقرار الداخلي الذي ينعكس على مناحي الحياة في الدولة.

---

1 القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص33.

2 شادّ: هو صاحب الدواوين و يقال شادّ الدواوين ويكون رفيقا للوزير و متحدثا بالاموال، أنظر القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص 22.

3 الكاتب : مهمته عمل الحسابات، المشارف: وهو مشارف عمل وحساب وحاصل، الشهود: جمع شاهد وهو الذي يضبط كل شيئ هو شاهد عليه ويكتب الحساب . أنظر إبن مماتي، قوانين الدواوين، ص 302-304.

4 القلقشندي: مصدر سابق، ج5، ص 364.

5 نفسه، ج4، 34.

اعتمدت دولة المماليك بالإضافة إلى الدواوين الحكومية ، على مجموعة من الدواوين السلطانية التي كان لها الدور الفعال في تنظيم وحسن سير مهام السلطان وأمراءه وأولاده ، واعتمدت على مجموعة من الإقطاعات .

المبحث الأول : ديوان الدولة (الوزارة)

– الديوان وموظفون :

هذا الديوان تجمع فيه الأموال من الكثير والقليل وله جهات متعددة ، وعلى الدولة مصروف مثل تكفية عليق الخام الشريف وأسمطة الخاص وتكفية عمائر السلطنة ، وصرف حكم المماليك السلطانية وجراينهم وكذلك كل من له مرتب ، وصرف الصدقات المرتبة على بيت المال وعلوقة الأبقار، وكان في أيام الظاهر برقوق مصروف الدولة في كل شهر خمسين ألف دينار وللدولة ناظر ومباشرون قيل أنه كان عدة مباشري الدولة حوالي ثلاثمائة مباشر وبها مقدم وتحت يده رسل وأعوان من حاجب وشاد دواوين [1]

– ويتمثل ديوان الدولة في الوزارة ويقال ديوان الوزارة بإعتباره أهم موظفي الديوان وكان ديوان الدولة في الوزارة ويقال ديوان الوزارة بإعتباره أهم موظفي الديوان وكان ديوان الدولة من أهم إختصاصته حتى إلغاء الوزارة على يد الناصر مُحَمَّد ابن قلاوون سنة (727هـ/1327هـ) ومهمته في تحصيل الأموال وصرف النفقات المرتبة على الدولة ، بالإضافة إلى مهام إدارية أخرى [2]

الوزير هو وسيط بين الملك ورعيته ،والوزارة لم تتمهد قواعدها إلا في دولة بني العباس وسمي الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا.

[1]– غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري: **زبدة كشف المماليك** ، ط، المطبعة الجمهورية باريس،1894، ص، ص 97.99

[2]– مجدي عبد الرشيد بحر : **القرية المصرية في عصر السلاطين المماليك** ، الديوان،د ،ط، الهيئة لمصرية العامة للكتاب، د.س–ن،ص85

الوزارة في اللغة : من الوزر الملجأ والوزر الثقل فالوزير إما مأخوذة من الوزر فيكون هناه أنه يحمل الثقل أو تكون مأخوذة من الوزر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتدبيره [1]

وكلمة وزير هي عربية الأصل ودليل ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31)[2].

كانت وظيفة الوزارة أجل رتب أرباب الأقلام لأن متوليها ثاني السلطان ، إذا أنصف وعرف حقه إلا أن ملوك الدولة المملوكية قدموا رتبة النيابة على الوزارة وقعد مكانها في الدولة أناس من أرباب السيوف ومن أرباب الأقلام وكان الوزير إذا كان من أرباب الأقلام يطلق عليه إسم الصاحب وله دار تسمى قاعة الصاحب [3]

كان بجوار الوزير مقدم الدولة وهو الذي يهتم بشؤون الأعوان المتطرفين لخدمة الوزير[4] بالإضافة إلى شد الدواوين ويكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في إستخلاص الأموال [5]والحوائج خاناه ومعناه بيت الحوائج يعمل تحت الوزير وله شؤون صرف مرتبات المطبخ السلطاني واللحوم وتوابل الطعام [6]

وبعد إلغاء الوزارة ونشوء الديوان الخاص وحل محل الوزير بدأ الخلل يتطرق إلى ديوان الوزارة خاصة في الدولة المملوكية الثانية ، وقل حاصل الديوان وأصبح الوزراء يقطعون العديد من المرتبات

[1] – إبن طباطبا: مصدر سابق، ص 153.

[2] – سورة طه الأية (31.29).

[3]– أرباب السيوف: هم الطبقة الحربية الأستقراطية بعناصرها المختلفة ، أرباب القلم : هم من موظفي الدواوين والقضاة ورجال التعليم وأهل التصوف و طلاب العلم ، أنظر إبراهيم علي الطرخات النظم الإقطاعية ، ص299.

[4]– المقريزي: مصدر سابق ، ج2،223.

[5] – القلقشندي: مصدرسابق ، ج5 ، ص 468.

[6] – نفسه ، ج4 ، ص 22.

المقررة على ديوانهم بما في ذلك اللحم مما كان يعرض الوزراء إلى الضرب وكثير من الأذى من قبل المماليك [1]

وبظهور نيابة السلطنة إنقسم مكان للوزير على الناظر في المال وناظر خاص وكاتب الستر ، وتلاشت الوزارة في أيام الظاهر برقوق بما أحدثه من ديوان المفرد وضعف الوزارة ، أخذ كاتب الستر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات والعزل ونحو ذلك في دار العدل ،وأخذ الإستدار التصرف في نواحي أرض مصر والتحدث في الدوواين السلطانية وفي كشف الأقاليم وولاة النواحي وفي كثير من أمور أرباب الوظائف ،و أخذ ناظر خاص جانبا كبيرا من الأموال الديوانية السلطانية ليصرفها في تعلقات الخزانة السلطانية [2]

إقطاعات الديوان :

كان بحوزة هذا الديوان مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ويشمل على أعمال ديار مصرفي حيازة هذا الديوان ، أرض الجيزة و أرض منفلوط بالإضافة إلى العديد من البلاد الموزعة على الوجهين القبلي والبحري [3]

فالوجه القبلي يمثل الصعيد وأكثر خراجه غلال من قمح وشعير والحبوب ، وخراج هذه البلاد قد يكون دراهم ، ويأخذ الخراج من كل صنافي كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة .

الوجه البحري غالب خراج بلاده دراهم وليس فيه من خراجه غلة إلا قليل عكس الوجه القبلي [4]

وكما ذكرنا أعلاه أن هذا الديوان يشمل أرض الجيزة ومنفلوط وغالب خراجهما نقد يصل إلى بيت المال للإتفاق على دار الوزارة ، وباقي الخراج قمح أو غيره من غلة [5] فأرض الجيزة لها مباشرون وناظروا مستوفي وشهود وصيرفي وغالب خراجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المال وتثبت فيه ، ومنها ما

[1] – نفسه ،ص13.

[2] – مجدي عبد الرشيد بحر : مرجع سابق ، ص 87.

[3] – مجدي عبد الرشيد بحر : مرجع سابق ، ص 86.

[4] – القلقشندي مصدر سابق ، ج2 ص 423-424

[5] – الباز العربي : مرجع سابق، ص183.

يحمل إلى الأمراء السلطانية من القلة والقمح وغيره [1]أما منفلوط فهي أكثر متحصلا وغالب خراجه غلة من قمح أو فول أو شعير ، وتحمل الغلة إلى الأمراء السلطانية للصرف منها على الطواحين السلطانية في القاهرة والإسكندرية وبعض البلاد المتعلقة بالإقطاعات السلطانية [2]

وماعدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية في ديوان الوزارة مفرقة في الوجهين القبلي والبحر والوجه القبلي أكثر وقد تناقصت وبقي فيها بعض البلاد في الوجه القبلي

رواتب ولباس الوزارة فى الديوان :

كان للوزارة من الاراضي التي كانت يطلق عليها أراضي الدولة متحصل مابين نقد يحمل ليت المال وغلة من القمح وشعير وتحمل الى الامراء السلطانية فى القاهرة ومضر والسكندرية

هذه الاراضي بالإضافة الى موارد الوزارة من المكوس وبعض جهات الدخل الاخري التي احتضن بها الوزراء . فقد تمثلت في النفقة على احتاجات الدولة كما كان على الوزير أن يطلق الاطلاقات وهي عبارة عن حصص من المراسيم توزع على الامراء ودالك لمدة ثلاثة أشهر عوضا عن العقيقة التي تلتزم بها الوزراء طول السنة ، بالاضافة الى الرواتب المقررة على الوزراء الارباب القام وكثير من الفقراء والايتام وغير من المستحقين ،هدا غير ماهو مقرر من اللحم الدي قدر سنة 809هـ /1455م بثمانية ألف عشر رطل غير النقود التي تعطي لبعض المماليك عوضا عن اللحم [3].

كان راتب الوزراء في كل الشهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من ولد أو أخ من ثلاث مئة دينار الى مئتي دينار ، ثم حواشيه من خمسمئة دينار الى اربعة مئة دينار الى ثلاثمائة دينار حار عن الاقطاعات [4]

[1] – القلقشندي: مصدر سابق، ص456

[3] – مجدي عبد الراشد بحر ، مرجع سابق ،.ص86

[4] – القلقشندي: مصدر سابق،ج3، ص525.

اذا كان الوزير من أرباب الاقلام له فى الشهر مائتا ن وخمسون دينارا حبشية ومن الرواتب والفلة ولأعيانهم الرواتب الشهرية من اللحم والخبز والعليق والشمع والسكر والكسوة ونحو دالك.[1]

وعندما يتولي الوزير منصب الوزارة يرتدي خلع الوزارة وهي عبارة عن ملابس وقلادة وسيف وغلب على زي الوزير ما عرف باسم الجبة أو الفرجية [2]وتكون الجباب مفرحة اي مفتوحة من وراءها واكابرهم كانو يجعلون في أكمامهم باهنجات مفتوحة ويكون زيهم على أكمل وجه والذي يكون في ديوانه بأدنى لباس يأكل ادني المأكل ويركب حمار فهدا اللباس يدل على رئاسة الوزير للدواوين ، الوزير لم يكن يحمل السيف لأن ليس له نفوذ أهل السيف بل له نفوذ رجال أهل القلم ،كما يرتدي الوزير قلادة على عدة طبقات مزركشة بالذهب ومن العنبر ، ويلبس نوعا خاصا من العمائم وفي رجليه يلبس خفا أخضر من الحرير وخلع الوزارة كانت تتأثر بالوضع الإقتصادي يكون الوزير في أبهى طلة ، أما في حالة الغلاء والقحط يكون الخلع أقل جودة [3]

المبحث الثاني : ديوان الخاص

الديوان وموظفوه

أنشا هذا الديوان في عهد السلطان الناصر مُحَّد ابن قلا وون سنة (727هـ/1327م) هو ديوان يختص بشؤون السلطان المالية ،وعرف بالديوان الخاص[4] وقام الناصر مُحَّد ابن قلاوون باستحداث هذا الديوان حين أبطل الوزارة [5]

كان يساعد الناظر الخاص في إدارة شؤون هذا الديوان موظفون ممثلون لموظفي ديوان النظر ،وأهم هؤلاء الموظفين مستوفي خاص ويتولى الإشراف على الخزانة السلطانية ومقرها في القلعة ، فيما

[1]- نفسه ،ج4،ص51.

[2] - صالح حسن عبد مروان سالم نوري : **الوزارات في مصر في العصر المملوكي** ،مجلة دراسات في التاريخ و الاثار ، 2015و ص213.

[3]- القلقشندي : مصدر سابق ، ج4 ، ص 43.

[4]- مفيد الزيدي: مرجع سابق ، ص 219.

[5] - القلقشندي : مصدر سابق ج3 ص 456.

يتولى الناظر الخاص الإنصاف على شراء الحوم والكسارى لموظفي القمر السلطاني وكبار رجال الدولة [1]

والناظر الخاص أو المقدم الخاص أو ناظر الخواص الشريفة هو المتحدث على الأعوان والمتصرفين بديوان الخاص ، كمقر الدولة بالنسبة إلى أعوان الوزارة [2]

ويقوم هذا الناظر بتعيين المباشر بيين وله أتباع وهم كتاب الديوان الخاص كناظر الخزانة ومستوفي خاص كما ذكرنا سابقا [3]،ويتكلم الناظر في كل ما يخص الديوان وجهاته ويعرض عليه في الديوان أرخص الأمتعة وأغلالها[4]ووظيفة الناظر الخاص هي وظيفة قديمة منذ عهد الخلفاء الفاطميين إلا أن متوليها لم يبلغ جل القدر الذي وصل إليه في الدولة المملوكية .

إقطعاته:

أول رجال السيف و سلطان ويعرف اقطاعه باسم الخاص السلطان والعادة ان يختار السلطان لنفسه ما شاء من الأراضي الجيدة أو القريبة فالخاص السلطان هو الإقطاع الذي يجوزه السلطان بوصفه سلطان ويقدر عدد 4 قراريط من خراج البلاد المقدره ب 24 قيراطا اي بمقدار السلطان في الأقاليم المختلفه داخل مصر وخارجها فمن هما هو بنواحي القاهره مصر النيل الفولاذ عبرته 500 دينار ومنه ماهو بالوجه البحري مثل خوه وما بها من زكاه 16000 دينار من هو ما هو بالوجه القبلي مثل الطارمه بالفيوم ومساحتها 1131 فدانا وعبرتها 4000 دينار وفي خارج مصر دمشق وما يحيط بها ضمن خاص ناصر مُحَمَّد [5] اعظم بلاد هذا الديوان مدينه الاسكندريه فانها مضافه اليه وبها مباشرون من ناظر ونشوف وشاهدين وغيرهم بالاضافه الى تروجه و تسترون ومال جميعها يحمل الى خزانه الخاص[6] وكما ذكرنا فان السلطان يقوم باختيار اجود اراضي لنفسه ونجد من السلاطين الذين فعلوا ذلك السلطان منصور حسام الدين لاجين في الروك الذي اجراه سنه 678هـ .

---

[1] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 219.

[2] – نفسه،ج4 ، ص30.

3 –فرس الدين خليل بن شاهين : مرجع سابق ، ص 107.

4 –المقريزي : مصدر سابق ، ج2 ، ص 226.

5 –ابراهيم علي طرخان، **النظم الاقطاعيه في الشرق الاوسط**.دط. دار الكتاب العربي. القاهره. 1968م.ص146

6 –القلقشندي مصدر سابق.ج٣.ص456 .

1298م وكما فعل ناصر مُحَّد ابن قلاوون في الروك الذي اجراه سنه 715هـ. 1315هـ[1] ديوان اراضي الجيزه ومنفلوط وهما نقلا عن ديوان الوزاره الى ديوان الخاص اراضي ديوان لم تكون قطعه ثابتة في بعض الأحيان كان يضيق السلطان قطع من الأراضي الأمراء إلى خاصة كما أن بعض السلاطين ينتهجون فرصه وجود إقطاعات محلوله اليد ليضموها إلى ديوان الخاص رغم ذلك كان أراضي الديوان في حاله نقصان فكثيرا من أراضيه توزعت بين أملاك والوقف واقتطاعات حتى صارت قري في هذا الديوان لا تتجاوز 15 قرية وجاء هذا النقص اثر إنشاء ديوان المفرد[2] كان متحصل بلاد الغلال يذهب إلى الأمراء السلطانية وخزانه السلطان للنفقة على رواتب المقررة له وما يقدم له من أضحيات و الكسوة في العيدين و كساوى حريم السلطان[3] المتحصل

والبهار الوارد من الجدة إلى الطور المتحصل جهاد دمياط ومتحصل المواريث الحشريه ومتحصل فرع بيروت[4]

المبحث الثالث: ديوان المفرد

تعريفه المفرد يطلق على جندي اومملوك فيقال وصل المفرد من الصعيد وجمعه مافرد وهو نوع من العساكر حلقة السلطان كان يتبعون ديوان المفرد مباشرة5

ب- نشأته :

انشئ ديوان المفرد سنة(788هـ-1386م) حينما افرد السلطان برقوق (784هـ - 791هـ/1382م-1389م) اقطاعه قبل ان يتسلطن للنفقة على المماليك السلطانية ثم اضاف اليه العديد من البلاد وجعل مرجعه الى الاستادار يتكون ديوان المفرد من صاحب الديوان وهو الأستادار وتكون له اعوان هم ناظر الفرد الشريف بالإضافة الى العديد من النظار والشادين والشهود والكتاب والمباشرين بالجهاد المفرد حيث كان ما يتحصل من البلدان الحابة بديوان المفرد وغيها من ديوان الرسوم المقررة على الكشاف والولاة ، كما ينفق على المماليك السلطانية الذين يشكلون أحد أضلاع

1 - جدي عبد الرشيد بحر. مرجع سابق.ص 88 .

2 -مجدي عبد الرشيد بحر مرجع سابق ص 90

3 -نفسه ص89

4 -غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري. مرجع سابق.ص108.

5 -أنور مُحَّد زناتي ، **معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية** ، د ط ، دار زهران للنشر ، عمان ، 2010، 374.

مثلث الجيش المصري المكون منهم ومن أجناد الحلقة بالإضافة إلى مماليك الأمراء كان للمماليك السلطانية جوامك من نفقة وعليف وكسوة تصرف شهريا حيث قدرت في سنة 869 هـ - 1465 م بأربعين الف دينار هذا بخلاف ماهو مرتب على ديوان لمعامل السكر وطواحين السلطانية بالإضافة إلى جوامك كتاب الديوان فضلاعن نفقة شهرية كانت تصرف للكثير ممن تتسللوا غلى هذا الديوان من الأيتام[1]

.

حيث استحدث برقوق ديوان المفرد من اجل أن يفصل جهة النفقة على المماليك السلطانية عن جهة النفقة على احتياجات السلطان الخاصة الا ان هذا لم يمنعهم من حيازات الاقطاعات في الدولة الأولى والثانية [2]

إقطاعات ديوان المفرد :

ففي عهد السلطان برقوق تطور الاقطلع مرة أخرى الديوان المفرد الذي افرد السلطان بلاد معينة ورتب عليها نفقة مماليكية من جماكيات وعليق وكسوة 3كما اشرف أيضا على الرواتب وجوامع المماليك السلطانية وتتلخص مهمة هذا الديوان في تكفية جميع المماليك السلطانية من جوامك وعليق والادارة ولهذا ديوان بلاد كثيرة بلغت نحو160بلدا من جملتها فارسكور والمنزدوبلغ خراج كل منهما 30الف دينار وذالك فصلا عن الرسوم اخرى متنوعة يأتي له من الولاة والكشاف وغيرهم بحيث بلغ ارادهم عن سنة واحدة من العين اكثر من 400الف دينار ومن الغلال 300.000اردب من القمح والشعير والفول 4

[1] -مجدي عبد الرشيد بحر، مرجع سابق ، ص 90.

[2] مجدي عبد الرشيد بحر ،مرجع سابق،ص92

[3] القلقشندي ،مصدر سابق ،ص457.

[4] علي طرخان مرجع سابق،ص152

كماكان ابو المحاسن المسمى ابن التغري بردي يحصل على جامكية وعلى نفقة من العليف واللحم والخبزمن ديوان المفرد بصفته اولى احد اولاد الناس. 1

كما ان ديوان المفرد كان على عكس ديواني الوزارة والخاص ، فقد كان جاديا للأراضي وليس صاردا حيث اضاف السلاطين الاقطاعيين المحلولة لهذا الديوان بشكل أكبر مما حدث في الدواوين الاخرى وذلك تمشيا مع سياستهم في الاهتمام بالديوان المستنجد على حساب الدواوين الاخرى وكان نظرا للزيادة المستمرة لمقدار جوامك المماليك السلطانية تتبعا لغش المعاملات النقدية وما تبعه من غلاء الاسعار بالاضافة الى شره المماليك السلطانية للمال وخاصة المماليك الجلبان مما كان يدفع السلاطين الى العمل المستمر على توفير جوامك المماليك وغيرهم من المرتعين على الديوان المفرد ولكن هل ادي ذلك الى حل المشكلة فالواقع ان ديوان المفرد منذ ان انشئ وهو في عجز دائم عن سد ما عليه من التزامات ولم تنجح دائما الحلول التي قدمت لسير الامور كما ينبغي مثل مساعدة السلاطين المستمرة بمد الديوان مبالغ مال الخزينة بالاضافة الى السلف المفروض من ديوان الذخيرة فمع ذلك ظل الاستادار لا يستطيع سد جوامك المماليك السلطانية مما كان يعرض الاستادارية لاذى المماليك على ان الاسباب التي ادت الى عجز الديوان المفرد عن سد متطلباته كان سوء تقدير الستاردية الذين اعتقدو أن فرض المغارم الكثيرة على الفلاحين في بلاد الدواوين سوف يعوض عجز الميزانية لكن النتيجة كانت عكسية عندما اتت بالمزيد من الخراب بلاد الدواوين ولذلك كان رجال الدولة يضعون بعض الحلول للنهوض ببلاد مفرد بأن توزع على مباشر الديوان وغيرهم ليعمروها . كما يعرف أن الاستادار هو الذي يرجع إليه أمر البيت السلطانية كلها من المطابع والشراب خاناه والحاشية والغلمان ، وهو الذي كانيمشي بأمر السلطان في السرحات والأسفار وله الحكم في غلمان

السلطان وباب داره وإليه أمور الجاشكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيره في الأمر من ذوي المئين وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات و الكساوي وما يجري مجرى ذلك ، ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتى كانت أيام الطاهر برقوق فأقام الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصغر عنه أستاذا ونشاطابه تدابير أموال المملكة ،

[1] مُحَمَّد شمس الدين :**ابن التغري بردي جو المحاسن** ،دط،دار الكتب العلمية،بيروت ،دس ن،ص31.

فينظر في جميع مايرجع إلى أمر الوزير وناظر الخاص ، وصار يترددان إلى سبابه ويمضيان الأمور برأيه فحلت رتبة الاستادار بحيث أنه صار في معنى ماكان فيه الوزير في أيام الخلفاء 1.

بالإضافة إلى نظر البيوت وهي من الوظائف الجليلة ومتوليها منوط بالأستادار فكل مايتحدث فيه أستادارالسلطان فإنه يشاركه في التحدث وهذا كان أيام كون الاستادار ونظره لايتعدى بيوت السلطان وأما منذ عظم قدر الأستادار رويفذت كلمته في جمهور أموال الدولة فأصبح نظر البيوت لا معنى له2.

المبحث الرابع: ديوان الأملاك والذخيرة.

ديوان الأملاك ونشأته:

أنشأه السلطان برقوق وأفرد له بلادا أسماها أملاكا وأقام لها أستادار ومباشريه ولم يكن في هذا الديوان كثيرا من وجوه الصرف في نفقة اوجامكية أو كلفة إلا ما يتطلبه موظفو الإدارة بهذا الاقطاع[3].

أما الاملاك الشريفة السلطانية هي التي اشتراها السلطان بماله من الملك اخر او من بيت مال فصارت بذلك ملكا حرا له جميع وسائل التصرف فيه من بيع وهبة وتوريث ووقف وربما يرجع أصل بعض هذه الاملاك إلى أيام إمارته قبل السلطنة فمثلا من أملاك السلطان شعبان ابن جسين بالغربية: بطينة وحوض السقف ومساحتها 1626 قدانا عدا الرزق المقدرة ب 25 فدانا والعبرة ثمانية ألف دينار ومن املاك الطاهر برقوق عطف بهبين بالجيزة[4].

اقطاعاته:

لقد كان ديوان الذخيرة "الاملاك" من اجل الدواوين فكان يجوز البلاد مثل الدواوين السابقة وله ستحصل من المال والغلال توضع في شؤون خاصة به وهذا الديوان الموروث عند الدولة الايوبية كان مختصا بتسليح المماليك السلطانية واجناد الحلقة في الجيش المملوكي

[1] المقريزي ،مصدر سابق ،ج2،ص222.

[2] نفسه ،ص 224.

[3] – السيد الباز العريني، مرجع سابق ،ص185

[4] – علي طرخان ،مرجع سابق،ص146

بالاضافة الى الهدايا الحربية التي كان يخرجها السلطان لأمرائه وكان المختص بادارة هذا الديوان "اسنادار الذخيرة" بالاضافة الى وجود ناظر للديوان يعاونه العديد من المباشريين ومثل الدواووين الاخرى تعرضت اراضي ديوان الذخيرة افضل بكثير من الدواوين الاخرى حتى نهاية الدولة [1]حيث وجدنا ديوان المفرد دائم السلف والقروض من ديوان الذحيرة كما كان مرتبا للمفرد بالذخيرة مبلغا معينا من المال شهريا مساعدة له للنفقة على المماليك السلطانية في ذلك هو احتصار مهمة ديوان الذخيرة على شراء السلاح وتوفيره للجيش وامكانية تأجيل ذلك خاصة في أوقات السلم مما جعل به متوفرا يمكن ان يقرض لصالح الديوان المفرد عما ان اختصاص ديوان المفرد بجوامك المماليك واختصاص ديوان الذخيرة بتوفير الاسلحة لهم قرب المسافة بينهما وجعلهما يتحملان معه المسؤولية النفقة على المماليك السلطانية [2]حيث اقر السلطان بان هذا الديوان ليس عليه مرتب ولا نفقة ولا كلفة كما هو الخاص بالسلطان وحده دون غيره[3]

–اعتمدت الدواوين السلطانية في المقام الأول على أراضي و الإقطاعات ، وكان جل مرتبها منه وكان لموظفي هذه الدواوين مميزات خاصة تميزهم عن غيرهم ولهم جل الاحترام والتقدير .

[1]– مجدي عبد الرسيد بحر،مرجع سابق نص93

[2] – مجدي عبد الرسيد بحر،مرجع سابق نص94.

[3] – القلقشندي ،مصدر سابق ،ج3،ص457.

الخاتمة :

في ختام دراستنا نستنتج أن دولة المماليك حظيت باهتمام كبير من المؤرخين من الجانب السياسي وقد تنوعت دراساتهم فيها وجاء هذا الاهتمام على الدولة أنها قائمة بذاتها وتعتبر من أهم واكبر الدويلات في المشرق الإسلامي ،من جميع النواحي والجوانب ومنها الجانب الإداري الذي تميز بتكوين مجموعة من الدواوين ويبدو لنا أن عصر المماليك كان عصر ناشط إداري ضخم هذا الجانب بجميع مظاهره ارتقي في هذا العصر إلى ارقى الدرجات وفتح الأبواب على الدولة وسهل تنظيم إداراتها عبر هذه الدواوين لضبط أمورها .

- كان أول ظهور لدواوين في الساحة الإسلامية في عهد عمر ابن الخطاب ﷺ ، وقام بإنشاء عدة دواوين ليسهل أحوال دولته ،فقام بإنشاء ديوان العطاء وكانت في خدمة الشعب فيما ظهرت دواوين أخرى في العصرين الأموي والعباسي وذالك على حسب ما تمليه عليهم طبيعة الحياة خاصة بعد توسع الدولة الإسلامية وتنوع الأجناس ، ومن هذه الدواوين وجدن ديوان الخاتم والطراز والبريد والرسائل وغيرها
- تعتبر الدولة المملوكية من الدول الأطول عمرا في المشرق الإسلامي، وكان ظهورها اثر كبير في تغيير الأوضاع في جميع الجوانب ومثلت هذه الدولة للخلافة العباسية وإعادة إحياءها وتعاقب على حكمها الكثير من السلاطين ذوي الكفاءة اللذين جعلوا منها دولة ذات قوى وسيادة فقد سيروا ونظموا الدولة على أكمل وجه كما كان لهم الدور الفعال في إيقاف زحف الخطرين الصلبي والمغولي وانقسمت هذه الدول إلى دولتين دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجراكسة.
- تميزت دولة المماليك بدواوين حكومية ضبطه سير أمور الدولة وتمثلت هذه الدواوين في ديوان الجيش والذي تم تقسيم الجيش إلى أقسام لتسهيل تنظيمه وكان يمثله ناظر الجيش مع وجود بعض المساعدين الذين يساهمون مع ناظر الجيش في ضبط الديوان وصرف مرتبات الجيش واقتطاعاتهم وديوان الإنشاء اتصل مباشرة مع إدارة البريد وكان له هو الأخر موظفون لتسهيل

سير أمورهم وديوان النظر والاحباس والمظالم بالإضافة إلى دواوين صغيرة كانت لها صلة بالإدارة المملوكية .

- إضافة إلى الدواوين الحكومية كانت هناك دواوين سلطانية خاصة بالسلطان وحاشيته في القصر تمثلت في ديوان المفرد وديوان الوزارة والديوان الخاص والديوان الأملاك و إقطاعاتهم من الأراضي والأقاليم .

الملحق رقم : -01-

جدول يوضح قيمة العطاء في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه.

النسب المتصل من رسول الله	قيمة العطاء في العام بالدرهم
السابقة في الإسلام الجهاد: العباس بن عبد المطلب	25000 درهم 12000 درهم 7000 درهم 5000 درهم
السيدة عائشة أم المؤمنين ﵂	12000 درهم
أمهات المؤمنين	10000 درهم
السيدة صفية ﵂	6000 درهم
السيدة جويرية ﵂	600 درهم
البدريون: -عمر بن الخطاب ﵁ - علي بن أبي طالب ﵁ - عثمان بن عفان ﵁ - الحسن بن علي ﵁ - الحسين بن علي ﵁	5000 درهم 5000 درهم 5000 درهم 5000 درهم 5000 درهم
الأنصار:- أبو ذر الغفاري ﵁ - مُحَمَّد بن مسيلمة (أول النصارى) - البدريون إلى الحديبية - مهاجرة الحبشة - المهاجرون قبل الفتح - من الحديبية إلى إنتهاء الردة - المهاجرين بعد الفتح - من شهر الفتح إلى القادسية - من بعد القادسية و اليرموك	4000 درهم 4000 درهم 4000 درهم 3000 درهم 3000 درهم 2000 درهم 2000 درهم 1000 درهم 900 درهم
- طبقة أمراء الأجناد - عبد الله بن عمر	8000 درهم 7000 درهم

– أسامة بن زيد	3000 درهم
– أهل اليمن و قبس بالشام	4000 درهم
– العراق	4000 درهم
– المهاجرات الأوليات نساء المهاجرين و الأنصار	2000 درهم
– أهل مكة	1000 درهم
– الرضع	200-300-400-600 درهم
– المنفوس	و سوي بعد ذلك في العطاء
	800 درهم
	200 درهم
	100 درهم

فتحية عبد الفتاح النبراوي: تاريخ النظم و الحضارة الإسلامية،ط1، دار المسيرة، عمان 2012،ص117،118

الملحق رقم :02

جدول بأسماء سلاطين دولة المماليك الأولى والثانية

الدولة المملوكية الأولى (648-784هـ /1250م-1382م)

اسم السلطان	مدة الحكم
المعز ايبك التركمتني	(684هـ -654هـ/1250م -1256م)
المنصور على أيبك	(654هـ -656هـ/1257م -1258م)
المظفر سيف الدين قطز	(657هـ -658هـ/1258م -1259م)
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدري	(658هـ -676هـ/1259م -1277م)
سعيد ابو المعالي مُحَمَّد بركة بن بيبرس	(676هـ -678هـ/1277م -1279م)
العادل سيف الدين سلامش بيبرس	(ربيع الأول- رجب 678هـ/1289م)
المنصور سيف الدين القلاوون	(678هـ -689هـ/7950م -1290م)
الأشرف صلاح الدين خليل	(689هـ -693هـ/1290م -1294م)
الملك الاوحد بيدرا	تسلطن ليوم واحد بعد مقتل خليل
الناصر محمود بن قالون	(693هـ -694هـ/1293م -1294م)
العادل زيد الدين كتبغا بن عبد الله المنصور	(694هـ -696هـ/1294م -1296م)
المنصور حسام الدين لاجين	(696هـ -698هـ/1296م -1298م)
عرودة ناصر مُحَمَّد	(708هـ -709هـ/1308م -1309م)
المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	(709هـ -741هـ/1309م -1340م)
عودة الناصر محمود	(741هـ -742هـ/1340م -1341م)
المنصور سيف الدين ابو بكر بن ناصر	(صفر-شوال 1341/742م)
الأشرف علاء الدين حجك الناصر مُحَمَّد	(شوال 742هـ/محرم743هـ/1342)
الناصر شهاب الدين أحمد ابن الناصر مُحَمَّد	(743هـ -796هـ/1342م -1345م)
الصالح علاء الدين اسماعيل ابن ناصر مُحَمَّد	(746هـ -747هـ/1345م -1346م)
الكامل شعبان بن ناصر مُحَمَّد	(747هـ -748هـ/1346م -1347م)
المظفر حاجي بن ناصر مُحَمَّد	(748هـ -752هـ/1346م -1351م)
الناصر ابو المحاسن حسن بن ناصر مُحَمَّد	(752هـ -755هـ/1346م -1354م)
الصالح صلاح الدين بن ناصر مُحَمَّد	

عودة الناصر حسن	(755هـ -762هـ/1354م -1360م)
المنصور مُحَمَّد ابن حاجي بن الناصر مُحَمَّد	(762هـ -764هـ/1360م -1362م)
الاشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين بن ناصر مُحَمَّد	(764هـ -778هـ/1362م -1376م)
المنصور على بن شعبان	(778هـ -783هـ/1376م -1381م)
الصالح أمير حاج بن شعبان	(783هـ -784هـ/1381م -1382م)

الدولة المملوكية الثانية (784هـ/923هـ/1382م-1517م)

اسم السلطان	مدة الحكم
الظاهر سيف الدين ابو سعيد برقوق بن أنس العثماني	(784هـ -791هـ/1382م -1388م)
عودة الصالح أمير الحاج	(791هـ -792هـ/1388م -1389م)
عودة برقوق	(792هـ -801هـ/1389م -1398م)
الناصر زين الدين أبو السعادات فرحبن برقوق	(801هـ -808هـ/1398م -1405م)
المنصورعز الدين أبو الغر عبد العزيز بن برقوق	(ربيع الأول -808هـ/1405م)
عودة فرح	(808هـ -815هـ/1405م -1412م)
الخليفة المستعين	(محرم -شعبان815هـ/1412م)
المؤيد أبو النصرشج بن عبد الله المحمودي الظاهري	(815هـ -824هـ/1412م -1421م)
المظفر أبو السعادات أحمد بن شيخ	(محرم -824شعبان/1421)
الظاهر سيف الدين ابو سعيد ططر الظاهري	(محرم -شعبان824هـ/1421م)
الصالح ناصر الدين مُحَمَّد بن ططر	(824هـ -825هـ/1421م -1422م)
الاشرف أبو النص برسباي الدقماقي الظاهري	(825هـ -841هـ/1422م -1437م)
العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن برسباي	(841هـ -842هـ/1437م -1438م)
الظاهر سيف الدين أبو سعيد حقمق العلائي	(842هـ -857هـ/1438م -1453م)
المنصور أبو سعادات فخر الدين عثمان بن حقمق	(محرم -ربيع الاول857هـ/1453م)
الاشرف ابو النصر سيف الدين اينال العلائي الظاهري	(857هـ -865هـ/1453م -1460م)
الملك المؤيد ابو فتح شهاب الدين أحمد بن اينال الظاهر	(محرم –رمضان865هـ/1460م)
ابو سعيد سيف الدين حشقرم الناصري المؤيدي	(865هـ -872هـ/1460م -1467م)
الظاهر ابو النصر سيف الدين بلباي المؤيدي	(ربيع الأول-جماد الأول872هـ/1467م 1453م)

الظاهر ابو سعيد تمريغا الظاهري	(جماد الأول -رجب872هـ/1467م)
الظاهر خيربك	تسلطن ليلة واحدة
الاشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمود الظاهري	(872هـ -901هـ/1467م -1496م)
الناصر ابو السعادات ناصر الدين مُحَمَّد بن قايتباي	(901هـ -902هـ/1496م -1497م)
قانون خمسمئة	(28جماد الاول –اول جماد اخر902هـ/1497م)
عودة مُحَمَّد بن قيتباي	(902هـ -904هـ/1497م -1499م)
الظاهر أبو سعيد قنموه الأشرفي	(904842هـ -905هـ/1489م -1499م)
الاشرف أبو نصر جان بلاط بن يشبك الاشرفي	(905هـ -906هـ/1499م -1500م)
العادل طومان باي بن قانصره (مكرمان الأول)	(06جماد الاخر. -شوال906هـ/1501م)
الاشرف قانصوموه الغوري	(906هـ -922هـ/1501م -1512م)
الملك الاشرف ابو النصر طومان باي الثاني	(922هـ -923هـ/1516م -1517م)

إبراهيم علي طرخان :النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1968،ص308-309.

الملحق رقم : –03–

مقادير الإقطاع وفق الدوك الناصري لديوان الجيش.

أمراء و أجناد الجيش	مقدار الإقطاع بالدينار
الأمير مائه	من 100 ألف إلى 85 ألف دينار حبشي
الطبلخاناه	من 40 إلى 30 ألف دينار
أمراء العشرات	من 10 آلاف دينار إلى 7 آلاف دينار
المماليك السلطانية	من 1500 دينار إلى 600 ألف دينار في السنة
جندي الحلقة	من 900 دينار إلى 300 دينار في السنة

الباز العريني: المماليك، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص182.

الملحق رقم : -04-

جدول يوضح بعض الجهات التابعة لديوان المفرد

الإقليم	الجهة	المساحة بالفدان	ما بها من رزق	العبرة بالدينار	ملاحظات
-الفيومية	أفلول	1187	-	2500	-لا توجد أفلول حاليا
-الأشمونين	منية بن خصيب و كفورها	-	-	38800	- لم تمسح في الدوك الناصري ولا توجد هذه البلدة حاليا
السيوطية	الخصوص و كفورها	24563	-	72000	- المساحة مفصلة بالنقا و الخرص نقا 6737 فدانا و خرص 17826 فدانا ولا توجد حاليا
القوصية	أرمنت	7090	-	14000	- المساحة مفصلة بالنقا و الخرص نقا 4090 و خرص 3000 فدان و تتبع أرمنت حاليا قنا
	الدمقرات	6563	49	10000	- المساحة مفصلة بالنقا و الخرص نقا 6242 و خرص 321 فدان
	غرب قمولة	-	-	17000	- غير موجودة حاليا

إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1988، ص173.

- **القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).**

المصادر :

- ابن التغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،تع مُحَمَّد حسن شمس الدين ،ج4،دط ،دار الكتب العلمية ،بيروت،دت.
- ابن إياس ،بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج1،دط،نشرات الإسلامية ، القاهرة،1975.
- ابن طباطبا مُحَمَّد بن علي، الأدب السلطانية والدول الإسلامية ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،دت.
- البلاذري ، فتوح البلدان ،ط1،شركة طبع الكتب العربية ،القاهرة ،مصر، 1901.
- بن مماتي الأسعد ، قوانين الدواوين ، تح عزيز سوريا ل عطية ،ط1،مكتبة مديولي ،القاهرة ،1991.
- الدوداري ،كنز الدرر وجامع الغرر، دط ،د.د.ن،قاهرة ،1792.
- الذهبي ،تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان،بط،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1971.
- الشوكاني ،البدر الساطع في محاسن من بعد القرن السابع ،ج1،دط،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،دت.
- الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج3،ط2،دار المعارف مصر،دت.
- القلقشندي أبي العباس أحمد ،صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5،دط،دت،المطبعة العلمية ،القاهرة 1918.
- الماوردي ، الاحكام السلطانية ،دط،دار الحديث ، القاهرة ،دت.
- المقريزي تقي الدبن أبي عباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدي،السلوك لمعرفة دول الملوك ،تح مُحَمَّد عبد القادر عطا،ج2،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1927.
- المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد ابن علي، المواعظ والاعتبار بذكر خطط الأثار،ج2،دط،دار صادر بيروت،دت.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب،تح علي بوملحم،ج8،دط،دار الكتب العلمية بيروت ،بيروت ،دت.
- ياقوة الحموي،معجم البلدان ،ج3،ط2،دار صادر،بيروت،1993.

المراجع:

- أحمد مختار العبادي: في التاريخ الأيوبي و المملوكي ،د.ط، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية، 2006.
- إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية، د.ت، دار الكتاب العربي، 1968.
- السيد الباز العريني: المماليك، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- جمال الدين فاتح الكيلاني: التاريخ الإسلامي، تق صالح أحمد العلي، د.ط، مكتبة مصطفى، القاهرة 2012.
- حسن إبراهيم حسين، علي إبراهيم حسين: النظم الإسلامية، د.ط، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، د.ت.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليك في مصر و الشام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.
- صفوان طه حسين: تاريخ الأيوبين و المماليك، ط1، دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، 2009.
- علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي: المغول بين الإنتشار و الإنكسار، ط1، مركز السلام للتجهيز الفني، د.ب.ن، 2009.
- غرس الدين خليل ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك، د.ط، المطبعة الجمهورية، باريس، 1894.
- فتحية عبد الفتاح: تاريخ النظم و الحضارة الإسلامية، ط.1، دار المسيرة، عمان، 2012.
- قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994.
- مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية، د.ط، الهيئة المصرية العامة، 1999.
- مُحَمَّد حسين شمس الدين: ابن تغري بردي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- مُحَمَّد الخضرمي: الدولة الأموية، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- مُحَمَّد عبد العظيم أبو نصر: الدولة العباسية، ط1، شركة توزيع الفكر، القاهرة، 2009.
- هيثم جمعة هلال: الدولة العباسية، ط1، دار العزة و الكرامة للكتاب، وهران، 2012.

مجـلات:

- 1- زينب جمال: أسرتا المماليك، مجلة أنباء الوطن، عد 35.
- 2- صالح حسن عبده مروان سالم نوري: الوزارة في مصر في العصر المملوكي، مجلة دراسات في التاريخ و الآثار، عد 50، 2015.
- 3- كمال مرجاني عبد الله أحمد خلف: دور الإقطاع في عصر مماليك البحرية، مجلة الدراسات الإسلامية و الفكر، عد 1، مج 1، أبريل 2019.

مـــذكرة:

- شفيق عواد عبد الكريم عرار: سكان فلسطين في العهد المملوكي، رسالة ماجستير في التاريخ العربي الإسلامي، فلسطين، 2004.

موسوعـات:

- مفيد الزيدي: العصر المملوكي، د.ط، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، 2009.

معـاجم:

- أنور مُحَمَّد زناتي: معجم مصطلحات التاريخ و الحضارة الإسلامية، د.ط، دار زهران للنشر و التوزيع.

الفهرس	الصفحة
تشكرات	
إهداء	
المختصرات	
مقدمة	أ–هـ
الفصل التمهيدي : الدواوين في المشرق الإسلامي.....	06
المبحث الأول: الدوواين في عهد عمر الفاروق.....	08
1– نشأة الدوواين	08
2– ديوان العطاء	09
3– ديوان الجيش	10
4– ديوان الإستيفاء	11
المبحث الثاني: الدواوين في الدولة الأموية	12
1– ديوان الخاتم	12
2– ديوان الرسائل والبريد	12
3– تعريب الدواوين	13
4– ديوان الطراز:	14
المبحث الثالث: الدواوين في الدولة العباسية	15
1– ديوان البريد والرسائل (كتابة الإنشاء)	15
2– ديوان الجيش وديوان المظالم	16
3– ديوان النفقات وبيت المال	16
4– ديوان الزمام	17
الفصل الأول :دولة المماليك.....	19
المبحث الأول: قيام دول المماليك	21
1– ظهور المماليك	21
2– نشوء دولة المماليك	21

3– سلطنة شجرة الدر	23
المبحث الثاني: سلاطين المماليك البحرية	24
1– معز الدين أيبك (648–655هـ/1250–1257م)	24
2– سيف الدين قطز (657–658هـ/1259–1260م)	26
3– بيبرس البندقداري (658–676هـ/1260–1278م)	27
4– الناصر مُحَمَّد ابن قلاوون	29
المبحث الثالث: سلاطين مماليك الجراكسة	31
1– الظاهر سيف الدين برقوق:	31
2– الأشرف سيف الدين برسباي	33
3– الظاهر سيف الدين جقمق	35
4– الأشرف قايتباي (872–901هـ/1468–1496م)	37
الفصل الثاني : الدواوين الحكومية ...	39
المبحث الأول: ديوان الجيش	41
1– جيش الديوان وملابسهم	41
2– موظفو ورتب الديوان	43
– الاقتطاعات في ديوان الجيش	44
المبحث الثاني: ديوان الانشاء	46
الديوان في الدولة	46
موظفو الديوان	46
البريد	46
المبحث الثالث: ديوان الأحباس والنظر والمظالم	51
ديوان الأحباس	51
1– القسم الأول الأحباس	51
2–القسم الثاني الأوقاف الحكمية	51
– ديوان النظر	52

– ديوان النظر في المظالم	53
المبحث الرابع: دواوين ثانوية	55
1– ديوان الطواحين	55
2– ديوان الأهراء	55
3– ديوان الاصطبلات	55
4– ديوان المواريث الحشرية	56
5– ديوان المرتجعات	57
الفصل الثالث :الدواوين السلطانية	59
المبحث الأول : ديوان الدولة (الوزارة)	61
الديوان وموظفون	61
إقطاعات الديوان	63
رواتب ولباس الوزارة فى الديوان	64
المبحث الثاني : ديوان الخاص	65
الديوان وموظفوه	65
إقطعاته	66
المبحث الثالث: ديوان المفرد	67
إقطاعات ديوان المفرد	68
المبحث الرابع: ديوان الأملاك والذخيرة.	70
ديوان الأملاك ونشأته	70
اقطاعاته	70
الخاتمة	74
الملاحق	77
الببليوغرافيا	85
الفهرس	89